سلسلة المغامرات المثيرة

الشرطي الكبير يقع في الفخ

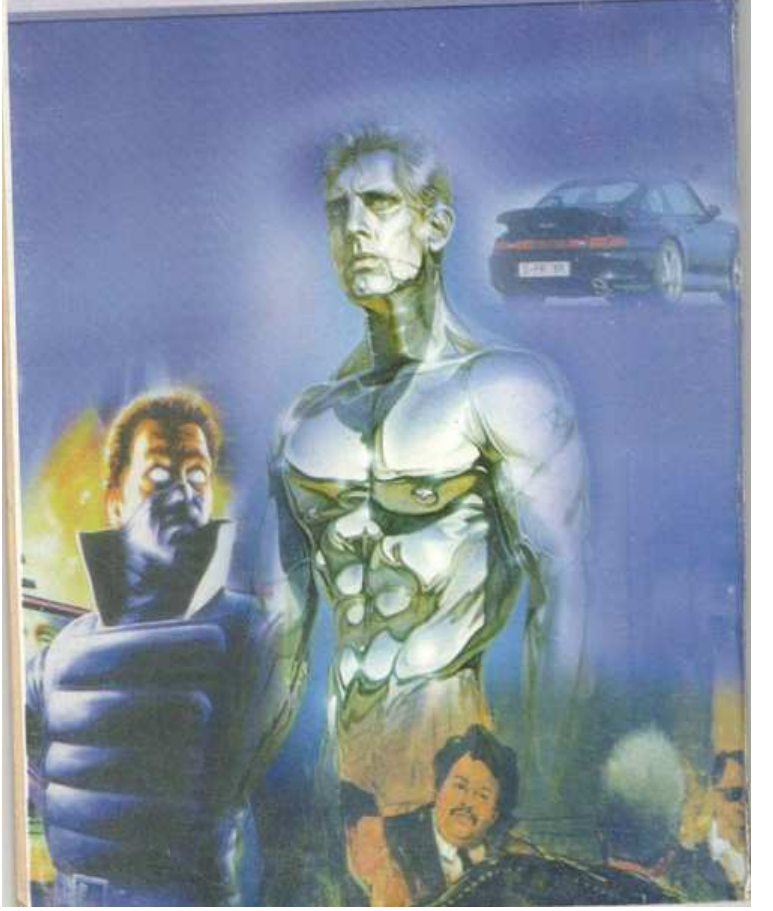

الشرطي الكبير يقع في الفخ

تأليف

عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

سلسلة المغامرات المثيرة المغامرة الثانية

رواية/ الشرطي الكبير يقع في الفخ

جميع الحقوق محفوظة عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة للكاتبة:

غلاف رواية الشرطي الكبير يقع في الفخ: صممه الأستاذ/ عادل هاشم سامي

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٦/٥٨٦٩

رقم الترقيم الدولي: 977-5763-00-2
ISBN

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

شكر وتقدير

طوال مراحل كتابتي لرواياتي لازمتني مجموعة من الصديقات اللاتي نصحنني بشأن محتويات رواياتي وتعبيري عن أفكاري وأساليب كتابتي لها، وأخص بالذكر الصديقات التالية أسماؤهن:

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة هبة الله محمود خليفة:

وطبعًا الأستاذة هبة هي أفضل ناقد أدبي قابلته في حياتي من الرجال والنساء على حدٍ سواء فلديها موهبة أنها تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص روايته لكي تصبح أفضل كثيرًا مما كانت عليه قبل تطبيق نصيحتها أو هي تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص رواية عادية كي يتم تحويلها إلى رواية عبقرية وطالما سمعتها وهي تقرأ لمؤلفين أجانب تُباع كتبهم بالملايين لتقول: "كان على الكاتب أن يفعل كذا .. وكذا." وطبعًا في مثل تلك الحالة لا يمكننا أن ننقل نصيحتها لذلك الكاتب وإن كنت أنا أعتقد أنه كان سيستفيد كثيرًا لو سمع نصيحتها، وقد أعطتني الأستاذة/ هبة خليفة نصيحة غالية للغاية كانت في الصميم عندما نصحتني بشأن أول رواية كتبتها في حياتي "الفجوة السوداء." وكانت تلك النصيحة سببًا في تطوير أسلوب كتابتي بشكل ملحوظ جدًا. وكون الأستاذة هبة هي أفضل ناقدة أدبية على وجه الإطلاق هو رأيي أنا. هبة ستلومني وتقول أنني أبالغ عندما تقرأ ما كتبته عنها، ولكن أنا قرأت للكثير من النقاد الأدبيين ولم أر أحدًا منهم يستطيع أن يخبر الكاتب بما ينقصه حقيقة. الأستاذة/ هبة خليفة لا تعمل في مجال يتصل بالأدب

ولكنها قارئة نهمة ووجودها الدائم والمستمر في حياتي كان دائمًا أحد أكبر نعم الله عليّ.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ هالة محمد محمد عبد المنعم إسماعيل:

كانت الأستاذة/ هالة على مدار سنين طويلة أحد أكبر الداعمين والمؤيدين لي وطالما شجعتني كي أنبذ الكسل وأعود للكتابة من جديد، وكثيرًا ما قرأت كتبي في فترات كانت فيها شديدة الانشغال بعملها وحياتها الأسرية ونصائحها بالنسبة لمحتوى كتبي وطريقة كتابتي كانت دائمًا مفيدة للغاية بالنسبة لي.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ رشا أحمد السيد نجم:

وقد ساهمت الأستاذة/ رشا كثيرًا في دعمي في كل ما احتجته وقراءة رواياتي ونصحي بشأن المحتوى وما يجب أن أذكره وما لا يجب أن أذكره، وأنا أشكرها شكرًا جزيلاً على دعمها الكبير وتشجيعها لي. وطبعًا صديقاتي الثلاث تمتزن بالكثير من صفات الكرم والجدعنة.

الشرطي الكبير يقع في الفخ

لقد ضربني الرجل بالرصاص. نعم إنه هو من ضربني بالرصاص. أتتني الرصاصة في كتفي فأردتني لأسقط على سطح اللنش، وبصق مايلز على وجهي ولكن لعابه أخطأني وأستقر على الأرض الخشبية بجواري، ثم ركلني مايلز بقدمه فهوى جسدي في مياه النهر الباردة وسرعان ما غاصت رأسي تحت الماء ولكني قاومت حاجتي الشديدة إلى الهواء وذلك الألم المضني الذي كنت أجده في ذراعي اليسرى ولم أحاول أن أطفو إلى السطح، بل أخذت أدفع بنفسي إلى المزيد من الغوص في أعماق المياه متجنبًا بذلك مروحة محرك اللنش الذي كانت ستحول جسدي إذا أصابتني إلى أشلاء. وسرعان ما مر ظل اللنش الذي أظلمت معه صفحة المياه تمامًا.

ظللت أكتم الألم في بدني وأقاوم حاجتي إلى الأوكسجين، وبعدما مر المركب انتظرت ثواني تكفي لابتعاده ثم صعدت ببطء إلى سطح المياه وأنا أقاوم رغبتي في الصعود بسرعة حتى لا يصبح رأسي هدفًا للقناصة المحتملين الذين كانوا سيترقبون ظهوري وسيحسون بالتأكيد إذا ما ظهرت حركة مفاجئة على سطح المياه تكون رأسي مركزًا لها، خاصة وأني أشقر الشعر ولكن الظلام الدامس الذي كان يحيط بي كان خير عون لي على ألا أُكتشف.

ما إن مر المركب حتى وأنا تحت المياه حتى أحسست ببعض الضوء الخفيف الذي يأتي من أضواء المرفأ البعيدة. لم أكن بعيدًا جدًا عن المرفأ، وقد أدهشتني جرأة الذين حاولوا قتلي وثقتهم في قوتهم وسيطرتهم إلى حد أنهم أقدموا على قتلي في مكان غير بعيد على المرفأ وبإطلاق رصاص لابد أن صوته

سيكون مسموعًا لمن يقف في المرفأ، وإن كان يمكن طبعًا تفسير صوت إطلاق النار بتفسيرات كثيرة وليس اطلاق رصاص بالذات.

وسبحت معتمدًا على ساقاي وذراعي السليمة .. إلى حد ما، فحين تصاب إحدى ذراعيك فإن إية حركة تقوم بها الذراع الأخرى تشعرك بأن أبواب الجحيم قد فُتحت وأنك تصطلي بناره. وما إن وصلت إلى رصيف المرفأ حتى شبكت ذراعي السليمة في إحدى السلالم الحديدية التي يقبع إلى جوارها قارب صغير، وهممت بالصعود إلى رصيف المرفأ لطلب النجدة، ولكني لم أصعد، فقد خطر لي خاطر مفاجيء فلو اكتشفوني في تلك اللحظة فسوف تأتي الإسعاف لتحملني فورًا بمنتهى الكفاءة والفاعلية وسيتم ابلاغ الشرطة عن طريق الكمبيوتر بوصول جريح إلى المستشفى بمنتهى الكفاءة والفاعلية كذلك.

لأول مرة أحس بأحد عيوب الكفاءة والفاعلية والسرعة. وقتها ما الذي سيظهر على شاشة الكمبيوتر الخاص بالشرطة؟ شاب طويل القامة يبلغ طوله حوالي المترين أشقر الشعر ومصاب بطلق ناري، ووقتها لن يحتاجوا لأن يعرفوا أن اسمي هو هال جونسون. وحتى لو تماسكت حتى أُملي رجال الشرطة اسمًا أخر غير اسمي فسيعرفون أنه أنا هال جونسون وسينتظرونني في المستشفى حين أكون عاجزًا عن حماية نفسي. حقنة هواء في الوريد وينتهي كل شيء. هذا إذا لم يجدوني وقد برز خنجر من صدري أو تدلى حبلٌ من رقبتي.

وسمعت أصواتًا تقترب. اقتربت برأسي من رصيف المرفأ ملتصقًا بالجدار السفلي لرصيف المرفأ الذي تم تركيب السلالم الحديدية عليه حتى غدوت جزءًا من الظل العميق الذي يصنعه

ذلك الجدار، وحين وجدت أنها امرأة تريد القارب الذي تعلقت أنا بالسلالم إلى جواره، نزلت إلى الأسفل لأخفي رأسي خلف القارب الصغير الملتصق برصيف المرفأ، واصطدم وجهي بجانب القارب واحتك به بشدة عن طريق الخطأ فلم أكن أستطيع أن أتحكم بشكل جيد في جسمي وقتها، وحمدت الله عز وجل، فلو لم يكن جسمي في تلك اللحظة هو جسم هال جونسون فائق اللياقة والقوة لكنت قد مت بالتأكيد.

فكرت بالضرر الذي يسببه لي شعر هال جونسون الأشقر. لو كنت لازلت محمود .. المصري ذو الشعر الأسود لما احتجت إلى أكثر من أن أتوارى في الظل وكان شعري الأسود سيقوم بالمهمة كلها. لكن الفتاة لم تنتبه لي. لا تستطيع أن تقول أنها كانت سكرانة. تقديري أنها فقط قد تناولت بعض جرعات من الخمر .. وقانا الله من شرها وآذاها.

تحركت الفتاة على الدرجات الحديدية التي كنت معلقًا بها منذ قليل ونزلت إلى القارب الصغير .. الذي لا يعدو كونه فلوكة أو معدية وسرعان ما فكت الفتاة الحبل الذي يربط القارب بالحلقات الحديدية المثبتة في المرفأ وألقت بالحبل في الماء وقد أمسكت بالمجدافين في القارب استعدادًا لتحريكهما. كادت الفتاة ترحل بالقارب بمفردها حتى انتبهت انها شقراء وليست شقرتها طبيعية بل هي من النوع الذي يُسمى بشقراء البيروكسايد. إنها تستعمل صبغة شعر شقراء كي تزيل لون شعرها وتجعل شعرها أشقر وبهذا تستمر شقرتها لفترة طويلة جدًا.

إن فتاة كهذه، كما قالت لي أختي رجاء في إحدى المرات، لو استمرت تصبغ شعرها لفترة طويلة باللون الأشقر فإن شعرها

لن يعود إلى حالته العادية إلا بعد فترة طويلة، وماذا لو أرادت أن تعيد شعرها إلى حالته الأولى. عليها إذن أن تستخدم وقتها صبغة داكنة اللون. إنها بغيتي. ومددت يدي ألف الحبل حول ذراعي السليم وأتحرك مع القارب الصغير.

وسرعان ما وصلت الفتاة إلى هدفها .. لنش كبير راسٍ في مكان قريب نسبيًا من المرفأ، وبقيت مكاني أنتظر، فالساعة كانت لا تزال في السابعة ولا أحسب أن الفتاة قد جاءت إلى القارب للمبيت فمازال الليل في أوله والليلة هي ليلة السبت وهي الليلة التي يستمتع فيها الأمريكيون بنهاية الأسبوع. كما أن حركة الفتاة السريعة وغير المرتبة على السطح الخشبي كانت تصل إلى مسامعي ولم تكن تحركات انسانة قد وصلت إلى بيتها أخيرًا كي تستريح، بل هي في الغالب تستعد لشيء ما، فبعد فترة ليست بالطويلة وجدت الفتاة تنزل ثانية إلى القارب الصغير وهي ترتدي فستانًا نصف عارٍ بلون ذهبي يناسب شعرها الأشقر وحذاء بكعب عالٍ جدًا من نفس اللون. كنت أظن أن هذا اللون لا يستعمل إلاَ في طلاء السيارات، ولكنها نيويورك المجنونة وتقاليعها.

نزلت الفتاة إلى القارب وأدارت المجدافين في الاتجاه العكسي لتبتعد عن اللنش ثم تتحرك في اتجاه المرفأ وأدنيت أنا رأسي في الماء كي أختفي حتى تبتعد الفتاة بالقارب مختفيًا في ظلال اللنش. أتمنى لك ليلة سعيدة يا عزيزتي، أما أنا فأمامي مهام عدة. آمل ألا تعودي سريعًا.

وما إن اختفى القارب عن عيني حتى بدأت أصعد سلالم اللنش، وكان هذا عملاً من أعمال التعذيب القاسية فالأمر يتطلب استخدام ذراعاي وإحداهما مصابة كما تعلمون بطلق ناري، أما

الأخرى فحدث ولا حرج، وحمدت الله على كل شيء فالجرح، كما هو واضح سطحي وصغير ولا ينتج الكثير من الدماء. دخلت داخل اللنش أبحث عن الحمام.

كان المكان أشبه بعوامة منه بلنش فهذا المكان قد أعد للسكنى، ولا أحسب أن للفتاة مكانًا أخر تبيت فيه. ووصلت للحمام حيث وجدت ما أبحث عنه. مقص وصبغة شعر سوداء.

حين نظرت إلى وجهي في المرأة .. كانت هناك علامات زرقاء في بعض مناطق وجهي .. وكانت بعض أجزاء وجهي قد صُبغت باللون الأحمر .. بسبب اصطدام وجهي واحتكاكه بقوة بالقارب الصغير وكذلك اصطدام وجهي بجانب ذلك المركب الذي كنت فيه بينما كنت أصعد السلالم الحديدية المعلقة به.

في البداية مزقت قميصي الذي يحمل علامات الشرطة وحشوت ببعضها الجرح وربطته ببعض الأقمشة ثم أمسكت بحزامي الذي يحمل علامات الشرطة وأمسكت بمحفظتي وما أحمل من أوراق ومزقتها إلى قطع صغيرة وربطتها في صرة مع بعض ملابس الشرطة وثقلت كل هذا بمسدسي وألقيت بهم في النهر.

ثم بدأت عملاً لا دراية لي به البتة وقد أديته بطريقة يشمئز منها أي حلاق خبير أو غير خبير حيث قصصت بالكثير من العناء شعر رأسي بحيث يكون قصيرًا جدًا جدًا عند الجانبين ولم أمسه من الأعلى، وهذا أعطاني مظهرًا شبيهًا بقصة الشعر التي تسمى كابوريا وجعلني شبيهًا برعاع الأزقة أو ربما أحد فتوات العصابات الذي قد يكون أكثر عرضة للإصابة بالرصاص. ربما فوق أحد الكباري أو في قارب للنزهة وبالتالي السقوط في النهر.

وبعدما قصصت شعر شاربي إلى أقل حد ممكن وصبغت شعري وشعر حاجباي وشاربي وحتى آثار الزغب الصغير الذي بدأ ينبت في ذقني نتيجة لعدم الحلاقة لفترة طويلة صبغته كله باللون الأسود.

كانت قوتي تتضاءل مع كل حركة أتحركها ولكني نظفت الحمام بعد عملي فيه وأزلت الشعر الذي تساقط مني بعناية وأغلقت أنبوبة الصبغة بعد أن استعملتها وأعدتها إلى مكانها وكذلك فعلت بالمقص، فلم أكن أريد أن تبلغ الفتاة الشرطة أن هناك من دخل عوامتها ولم يسرق أي شيء بل قام بقص شعره وصباغته باللون الأسود وعندها يكون الجريح الذي يبلغ طوله حوالي المترين تقريبًا ومصاب بالطلق الناري هو بالتأكيد .. هال جونسون .. أنا .. ووقتها سأكون بعد ساعات من وصولي إلى المستشفى في مكان هو مثال للراحة والسكينة في هذه الدنيا .. في المشرحة طبعًا.

ونزلت من قارب الفتاة وفككت ضمادتي وتركت الضمادة تسبح بعيدًا عني وشرعت أسبح ناحية المرفأ وأنا أحس مع كل حركة أن روحي تتسرب من جسدي شيئًا فشيئًا وأغمضت عينّي رغم محاولاتي المستميتة للتحكم في نفسي وكي أظل متيقظًا ونطقت بالشهادتين، ولكني سرعان ما سمعت صوتًا يصرخ: "ادن بالقارب أكثر يا جاك. أوقف الموتور فإني ألمح شخصًا في الماء." أحسست بأربعة أذرع فتية تحملني من الماء وتضعني على سطح خشبي.

تسألونني كيف لي أن أكون هال جونسون الأمريكي الأشقر ... ومحمود المصري الأسمر في نفس الوقت. هذا ما كنتم ستعرفونه لو أنكم قرأتم المغامرة الأولى .. مغامرة الفجوة

السوداء .. ولكني سأعطيكم نبذة عن السبب قريبًا فقط اقرأوا هذه الرواية بتسلسلها الذي كُتبت به .. عالمين طوال الوقت أن قراءة الصفحات الأخيرة من هذه المغامرة .. لا تدلكم كما هو معتاد على نهاية القصة .. بل فلنقل أن القصة في هذه المغامرة تبدأ من منتصفها. فقط تابعوا القراءة وكل شيء سيكون على ما يرام.

بعد دقائق .. سمعت صوت سرينة الاسعاف ثم ظهرت الأنوار السريعة وومضات بضوء أبيض تتحرك من حولي وغامت عيناي فلم أدر بشيء. وفي المستشفى تكرر المشهد الذي واجهته في أول هذه المغامرة فهناك أجهزة قياس النبض وصدمات عصبية لإنعاش القلب وعشرات من الإبر مغروسة في جسدي وقناع الأوكسجين الذي يحمل لي شريان الحياة وإن كنت أحس أحيانًا بأنه يُزهق أنفاسي .. نفس الومضات البيضاء .. نفس الأشخاص ونفس الأجهزة .. أو هكذا كنت أشعر.

من هنا تبدأ القصة

تسألونني من أنا. أنا محمود ثابت القاضي. الرجل الذي عاش معكم مغامرة الفجوة السوداء .. هذه هي مغامرتي الثانية وأنتم بالطبع لم تقرأوا المغامرة الأولى .. تقصير لابد من تعويضه فورًا .. ولكن لا بأس .. سأكون متسامحًا هذه المرة فقط .. من أجلكم .. قرائي الأعزاء وأقبل أن أروي لكم نبذة من مغامرتي السابقة.

قتل شخص ما المهندس حسن وهو يحاول الحصول على برنامج للكمبيوتر، وقادني حظي السعيد .. جدًا جدًا .. بالتأكيد إلى امتلاك الكمبيوتر ومعه بالطبع تلك المصيبة .. أعني برنامج آلة الزمن .. في البداية لم أستطع فتح البرنامج .. وكان كل شيء غامضًا ولكن في النهاية تحققت أمنيتي .. وفتحت البرنامج .. ووجدت نفسي فجأة في انجلترا هارب من السجن مقيدًا بأصفاد ثقيلة إلى مجرم هارب أسميته العنكبوت .. يجد البوليس في أثري .. وكأن كل هذه المصائب لم تكن تكفيني فسرعان ما أصدمنا أنا والعنكبوت بآلة قتل بشرية .. ذو الرداء الأسود.

حدثت المغامرة السابقة منذ حوالي عامين أي سنة ١٩٩١ وكنت وقتها مجرد طالب بالدراسات العليا بكلية التجارة .. يطمح بكل قلبه وجوارحه إلى العمل في بنك .. ولكنه لا يجد واسطة تمكنه من ذلك .. ولكن بعد تلك المغامرة لم أعد أحس بأني أرغب أن أعمل في بنك .. وتحول اهتمامي بدراسة الكمبيوتر إلى هاجس يُلح علي .. بشدة .. هاجس لا أنساه ليلاً أو نهارًا في لحظات نومي أو لحظات يقظتي.

ما هذا الذي حدث لي. كيف يمكن لبرنامج كمبيوتر أن ينقل عقل الإنسان ليسيطر به على جسد شخص آخر على بعد آلاف الأميال وربما آلاف السنين .. لست أدري .. ولهذا تركت دراساتي العليا .. أهملتها .. ولم أعد أستطيع أن أستمر فيها .. فقد كان هناك هاجس يسيطر علي .. يدفعني رغمًا عني ويسلبني القدرة على أن أعيش حياتي السابقة كما كنت أعيشها قبلاً .. ما هذا الذي حدث لي؟

أرسلت إلى عمي الذي كان قد قضى حوالي عشرين عامًا أو يزيد في الولايات المتحدة الأمريكية .. أطلب إليه أن يستقدمني وأخبرته أنني لا أجد لحياتي معنى .. إن لم أدرس هندسة الكمبيوتر .. وبرمجته وكل شيء عنه.

ولم يكذب عمي خبرًا .. فقد أرسل يستقدمني للدراسة في الولايات المتحدة .. وهناك التحقت بإحدى الكليات الكبرى المتخصصة في حقل أجهزة الحاسب والذكاء الاصطناعي ..

حين قابلتموني في المرة السابقة .. كنت شابًا خاملاً عاطلاً بدينًا لا يهتم إلا بالقراءة والكمبيوتر .. وربما دراسة بعض قواعد اللغة الانجليزية .. تمهيدًا للحصول على عمل، ولكني الآن شخص مختلف تمامًا عن محمود الذي عرفتموه في مغامرة الفجوة السوداء .. فقد كان علي أن أعمل آناء الليل وأطراف النهار .. كي أدفع تكاليف دراستي .. كما كنت أدرس حتى ساعات متأخرة من الليل .. إذا أمكنني ذلك وأستيقظ في الصباح مبكرًا لألحق بجدول محاضراتي .. تغير شكل يدي من كثرة عملي في غسل الأطباق وتنظيف الموائد والحمامات والعمل في السوبرماركت ونزح الجليد في الليالي الباردة .. أصبحت شخصًا أخر .. وصقلت حياتي الجديدة الخشنة

شخصيتي وأصبحت أكثر ثقة بنفسي وأكثر احساسًا بإمكانياتي وإن احتفظت ببعض بدانتي .. كتذكار طبعًا من حياتي السابقة.

وكأن ذلك كله لم يكن يكفيني فقد اضطررت كذلك إلى الانضمام إلى برنامج للخدمة العامة، وذلك لأنه طبقًا للقوانين التي تعمل بموجبها الجامعات الأمريكية فقد كان على الطالب القادم من خارج الولاية التي توجد بها الجامعة أن يدفع مصاريف إضافية للالتحاق بالجامعة قد تصل إلى ثلاثة أضعاف ما يدفعه الطالب الأمريكي القادم من نفس الولاية .. والتي يجب أن يكون هو أو أحد والديه قد عمل بها ودفع الضرائب لفترة طويلة لها حتى يُسجل من أبناءها. وتستعيض بعض الجامعات وخاصة الجامعات الخاصة بالولايات .. مثل الجامعة التي كنت ملتحقًا بها عن بعض تلك المصاريف الإضافية بأن تجعل الطالب يلتحق ببعض برامج الخدمة العامة[1] .. وقد التحقت بدورة تعلمت فيها إطفاء الحرائق وتسلق المباني المختلفة باستعمال مجموعة بدائية من الأدوات مثل الحبال فقط ..وذلك تحسبًا لاندلاع الحرائق في حالات الطوارىء. كما تضمنت الدورات التي التحقت بها مباديء الإسعافات الأولية، وكان علي أن أتواجد في مقر إطفاء الحرائق القريب من الجامعة ليلة واحدة من كل أسبوع لأساهم في إطفاء الحرائق التي قد تندلع في المنطقة.

لا أريد أن أصف لكم تجربتي من أول حريق دخلته لإطفاءه. يكفي أن أقول لكم أن الرعب قد أصابني وقد جعل هذا أحد ضحايا ذلك الحريق يحملني ويسرع بي إلى خارج المبنى حيث

---

[1] كان هذا يحدث في عام ١٩٩١ العام الذي تجري فيه أحداث الرواية وعام ١٩٩٦ العام الذي صدرت فيه هذه الرواية

شخص الطبيب حالتي كحالة صدمة عصبية مفاجئة. منتهى البطولة ..

ولكني صممت على الاستمرار رغم تلك البداية البطولية الموفقة .. في البداية يكون الحريق أمرًا مروعًا بالنسبة لك .. ولكنك تتلقى النصائح ممن حولك وتعتاد على إطفاء الحرائق بالتدريج .. مثل أية خبرة أخرى في الحياة تبدأ صعبة وتنتهي محتملة .. وإن لم تكن سهلة .. وفي بعض الأحيان ممتعة .. وإن كنت لم أعتد قط على إطفاء الحرائق فمازال وجودي في أي حريق يملؤني بداية بالرعب ولكن في تلك الحالة تعلمت أن أقاوم مشاعري وأتحرك ..

تضمنت واجباتي في برنامج الخدمة العامة أيضًا أن أكون الأخ الأكبر لحدث جانح صغير يسمى توم بيليز Tom Bellise. كان توم هذا يتيمًا في الخامسة عشرة من عمره .. ولكنه كان قد اندمج رغم سنه الصغيرة ضمن عصابة مكونة من عدد من الصبيان في نفس سنه أو أكبر بسنوات قليلة .. ولهذا قامت السلطات في الولاية التي ارتكب فيه بعض جرائم الأحداث التي رفضوا اطلاعي على نوعيتها بنقله إلى دار للأيتام في الولاية التي كنت أقيم فيها وأدرس بها لإنقاذه من تأثير عصبة السوء عليه .. وعُهد به إليّ كأخ أصغر لي.

كانت واجباتي تنحصر في أن أقابل الصبي ليومين في الأسبوع، وأتحدث معه أو أصطحبه للنزهة في الخارج وأحاول حل أية مشكلات قد يعاني منها، وسرعان ما بدأت ممارسة مهامي كأخ أكبر ولكن كانت تنقصني الحماسة فقد كان لدي الكثير من الأعمال .. عملي لمدة ٤٠ ساعة في الأسبوع لتأمين حياتي ومصاريف دراستي بالإضافة إلى ساعات حضور المحاضرات

والدراسة بالإضافة إلى الخدمة العامة .. ثم لا تنسى بعد ذلك .. أن علي أن أنام ولو لمدة ست ساعات في اليوم .. لم يترك هذا كله لي وقتًا كافيًا كي أتعرف على الصبي بشكل مرضٍ. ..

أصطحبت الصبي عدة مرات على حسابي لمشاهدة الملاهي وعروض الدلافين ومباريات كرة القدم الأمريكية وغيرها من الأشياء التي كنت أظن أنها تبهج المراهقين ممن هم في نفس سنه في أمريكا .. ولكن الصبي لم يكن يبدي الكثير من الفرح .. لم يكن يتحدث معي .. وكل ما كنت أحصل عليه كإجابات على أسئلتي العديدة هي مجموعة من الهمهمات والغمغمات التي تعني نعم .. أو ربما لا.

بدا لي توم .. في البداية .. مثال المراهق الأمريكي الصغير الخالي من المعنى .. المستهتر بكل القيم .. ولكني مع الوقت أحسست بأن الصبي مسكين .. وكأنه شخص يسبح ضد تيار قوي يغلبه على أمره .. أو وكأنه يحارب قوة خفية .. لا أدري كنهها .. بينما هو في داخله يتمزق .. ولا يعرف كيف ينتصر على عدوه غير المنظور .. ومع عدو كعدوه ... أنى له الانتصار؟ كان يظهر للناس بمظهر القوي الذي لا يبالي بشيء .. ولكنه في داخل نفسه يخشى الناس ولا يطمئن إليهم .. بل ويعتبرهم أعدائه..

كان الفتى شاحب اللون دائمًا .. شارد الذهن دائمًا .. ولم يكن يبالي كثيرًا بنظافته الشخصية أو دراسته .. بل لم يكن يذهب كثيرًا إلى المدرسة .. وكان ينام نهارًا ويستيقظ ليلاً .. سافرت في إجازة نصف العام الدراسي إلى الولاية التي أتى منها وحادثت أساتذته ومدرساته في مدرسته السابقة .. محاولاً أن أكتشف علته ..

وقد أجمع كل من حادثتهم عنه أن الصبي كان منذ حوالي عامين فقط مثالاً مشرفًا للصبيان في مثل سنه .. على الرغم من أنه كان حتى في تلك الفترة يتيم الأبوين ويسكن أحد ملاجيء الأيتام .. حيث لا تشجع البيئة كثيرًا على الدراسة والتفوق .. وقتها كان لديه الدافع والرغبة بل والحماسة الشديدة للتعلم .. والارتقاء بمستواه العلمي والاجتماعي ..على الرغم من كل الظروف المحيطة به ..وعدت وأنا أكثر حيرة مما ذهبت. ما الذي حدث للصبي حتى فقد اهتمامه بكل شيء في هذه الدنيا؟

وأتتني الإجابة على أسئلتي من حيث لا أدري ولا أحتسب. في يوم من الأيام حضرت محاضرة ضمن محاضرات الإسعافات الأولية .. وكانت المحاضرة تدور حول إدمان الشباب من صغار السن للمخدرات .. وبدأ المحاضر بذكر أن تأثير المخدرات وخاصة السموم البيضاء والمصنعة على صغار السن يزيد كثيرًا على تأثيرها على البالغين .. وأن تدمير خلايا المخ الذي قد يستغرق أعوامًا طويلة وربما عشرات السنين بالنسبة لشخص بالغ .. قد لا يستغرق أكثر من ستة أشهر بالنسبة لصبي مراهق ..

وبدأ المحاضر يذكر أعراض إدمان المخدرات .. هل تنطبق كل هذه الأعراض على الصبي توم أم أنني فقط .. شديد التشاؤم؟

تركت قاعة المحاضرات ورأسي تدور وقدت سيارتي إلى دار الأيتام التي يقيم بها توم .. وهناك قابلت الصبي .. أمسكت بيده وأخذت أرفع كمه كي أكشف عن ذراعه .. وهو يقاومني .. وحملقت عيناه فيّ في رعب ... لقد أدرك أنني قد عرفت كل شيء .. كانت هناك العديد من الثغور والثقوب السوداء التي تشبه الكدمات تنتشر في ذراع الصبي بطولها ..

قلت للصبي وأنا أستشيط غضبًا: "إذن فأنت لست منطوٍ كما كنت أظن. أنت مدمن للمخدرات." غضب الصبي .. ضاربًا الأرض بقدمه كالأطفال وأسرع يجري نحو غرفته .. تركته واتجهت إلى مكتب مدير الدار وحدثته في الأمر .. وكانت دهشة الرجل كبيرة حين عرف أن الصبي مدمن للمخدرات .. وبعد يومين جلست أنا والصبي ومدير الدار وأحد رجال الشرطة.

كنا نحاول ان نحل مشكلة الصبي ونعرف منه من أين يشتري المخدرات ونحضه على تركها، ولكن الصبي أدار لنا ظهره ورفض الإجابة على أي من أسئلتنا على الرغم من التهديد والوعيد والحديث العقلاني .. بل والمناشدة أحيانًا.

وتم حجز الصبي في إحدى المصحات العلاجية تحت إشراف طبيب متخصص في علاج صغار السن من إدمان المخدرات. كنت في تلك الفترة قد أصبحت أهتم بالصبي بشكل حقيقي، وبدأت أشعر وكأنني مسؤول عنه .. المسئول الوحيد عنه، فجميع المتعاملين معه يتصرفون وكأنها مسألة إدارية روتينية، جزء من مشاكلهم العديدة، ولكن علاقتي بالصبي الصغير، على الرغم مما كان يشوبها من مشكلات عدم القدرة على التفاهم، بل وفي بعض الأحيان عدم القدرة على التواصل على الإطلاق قد جعلتني أحس فعلاً وكأني أخوه الأكبر .. الشخص الذي يهتم به اهتمامًا حقيقيًا.

كثرت زياراتي للفتى في المصحة، وبدا وكأنه يستجيب للعلاج .. كما تحسن مزاجه وأصبح أكثر اهتمامًا بنظافته الشخصية ونظافة أشياءه .. وزادت طاقته وأنتظمت ساعات نومه، كما استعاد حماسه للحديث عن بعض الأشياء العامة التي يحب الصبيان الحديث عنها مثل صيد الأسماك وصيد الحيوانات والرياضات بشكل عام ..

اختفى شحوب لون الفتى وازداد وزنه وأصبح يقبل على دراساته، ويُعد خططًا لمستقبله، وعندما سألوني عن رأيي بالنسبة لإعادته إلى دار الأيتام، لتوفير تكاليف إقامته بالمصحة، تسرعت في الموافقة. ولم أدر بخطأي إلا عندما تم العثور على الفتى ميتًا في إحدى المباني المهجورة. توفى الفتى بعد تعاطي جرعة زائدة من المخدرات .. لم يستطع جسده الصغير تحملها.

لمدة طويلة بعد موت الفتى .. كان هناك خواء في صدري. إنني أنا المسئول عن موت الصبي. بعدها كرهت أمريكا وكل شيء فيها، وازداد احساسي بوحدتي، وعدم قدرتي على التواصل مع الناس من حولي، ولكني بقيت أذاكر بقوة. ربما من باب المحافظة على الذات وأصبحت أعمل لفترات أطول، كما استمررت في حضور محاضرات الخدمة العامة، وإطفاء الحرائق والاندماج في أنشطة الانقاذ بمركز الخدمة العامة، ولكني رفضت أن أكون الاخ الأكبر لطفل أخر، فأنا لا أصلح قدوة. كنت وقتها أؤدي كل شيء بشكل آلي وميكانيكي، بلا روح وقد غلبني الضجر، ولم يعد هناك شيء في الحياة يمتعني ولا حتى يضايقني. انتهت مشاعري وبقيت أنتظر أملاً واحدًا.

وأخيرًا جاء اليوم الذي كنت أنتظره بفارغ الصبر .. انتهى العام الدراسي. سأعود إلى بلادي الحبيبة كي أقضي بها شهرًا واحدًا وبعدها أعود لأمريكا للعمل من جديد والادخار لدفع مصاريف الكلية. آملت ان يساعدني الجو في مصر على نسيان الصبي توم وما ألم به، وتحريري من حالة الاكتئاب التي كنت أشعر بها.

في مصر .. ذبت بين أحضان أمي وأبي وأخوتي وأقاربي في الأيام الأولى .. كان كل من يقابلني يندهش لكوني سأقضي

شهرًا واحدًا في مصر. شهر واحد فقط!! ولكني بعد مضي أسبوع واحد كنت قد بدأت أحس بالملل الشديد، فقد كنت أعمل طول الوقت في امريكا وبعد عودتي إلى مصر أصبحت عاطلاً لا عمل لي طوال الوقت. كذلك تغيرت شخصيتي بينما بقيت شخصيات كل من حولي على حالها، وأطبق احساس بالحصار على جسدي ورئتّي وقلبي .. المشكلة هي أنه حين يعاني المرء من الغربة أو الوحدة لفترة طويلة، فإن الغربة والوحدة تلازمانه فيصبح هو والغربة شيئًا واحدًا ويصعب عليه بعدها أن يتواصل مع الناس كما كان يفعل من قبل .. مهما كان يحبهم .. أو يحتمل اقتراب أي شخص منه .. إلى حد معين .. لا أعني بالطبع الاقتراب الجسدي .. بل أعني المعنوي.

أصبحت أقضي اليوم كله في النوم هربًا من حرارة الشمس في النهار وفي الليل .. ماذا؟ التليفزيون .. سينما .. وربما عشاء في الخارج[٢]. لاشيء .. حتى أصدقائي أصبحوا مشغولين عني بأعمالهم وعائلاتهم وزوجاتهم أو خطيباتهم .. وأصبحوا يتحدثون إلى شخص لم يعد موجودًا، أو لم يعودوا يعرفونه .. تقولون أنني تغيرت وأن هذا جحود وإنكار لجميل الأهل والوطن وعاطفة الأصدقاء .. ربما كان الأمر كذلك .. ولكن ما حيلتي .. إن حياتي الخشنة في الغربة لمدة عامين قد غيرتني. لم أعد نفس الشخص، بل ولم أعد أستطيع أن أتظاهر حتى بيني وبين نفسي أنني نفس الشخص.

ما هو السبيل الوحيد المفتوح أمامي للتغيير؟ .. ودفع الملل .. إنه ببساطة تلك المصيبة القابعة فوق مكتبي في غرفتي القديمة التي بقيت على حالها .. أثناء اقامتي بأمريكا .. إنه الكمبيوتر

---

[٢] تذكر أن هذه الرواية قد كُتبت في العام ١٩٩٥ ونُشرت عام ١٩٩٦ ولم يكن يوجد وقتها انترنت نشط كما هو الحال الآن ولا فيس بوك ولا يوتيوب ولا وسائل تواصل اجتماعي ولا موبايلات ولا هواتف محمولة ولا أي شيء.

الذي كنت احلم بامتلاكه .. وأخيرًا في يوم مشئوم امتلكته .. بعد أن اشتريته من أسرة المرحوم المهندس حسن.

كان كل شيء يدفعني إلى التغيير .. المهم فتحت الكمبيوتر .. لعبت عليه عدة ألعاب .. وخطر لي أن أفتح البرنامج الذي أسميته سابقًا بالبرنامج الكنز .. قبل أن أعرف ماهيته وغيرت اسمه إلى البرنامج الكارثة بعد أن تغيرت حياتي بسبب دخولي فيه للمرة الأولى .. كنت قد أقسمت بيني وبين نفسي .. ألا أقرب ذلك البرنامج .. ولكني في هذه المرة أقنعت نفسي .. الأمارة بالسوء .. أنني لن أقترب هذه المرة من اي شخص يموت، وقد عرفت من المغامرة السابقة أن الكمبيوتر سيجعلني أحل محله في جسده.

فتحت البرنامج على أرقام عديدة في أزمنة عديدة .. كما فعلت في المغامرة السابقة .. راقبت أمرأة عجوزًا مقعدة في بيتها .. ورجلاً في حياته العادية .. وأطفالاً يلهون في الشارع وغيرها من الحالات .. ولكني كنت أمل المشهد وأغير الأرقام في كل مرة .. وفي إحدى المرات اخترت عام ١٩٨٥ في شهر يوليو .. فقد اتعظت من المرة السابقة .. لن أذهب إلى أي مكان في يناير .. اخترت عام ١٩٨٥ .. في شهر يونيو في الثامنة مساءًا والمكان نيويورك في حي منهاتن .. قلب نيويورك المتألق .. مكان الحركة والبهجة .. الآن سأشاهد نيويورك على شاشة الكمبيوتر بالتفصيل وكأنني أعيش فيها .. هل رأيتم كم أنا سعيد .. حذرت نفسي كثيرًا من الاقتراب من ذلك البرنامج ولكن كما يقول شوقي:

لكل داء دواءٌ يُستطب به

إلا الحماقة أعيت من يداويها

لقد كنت أحمقًا شديد الغباء وهذه هي الحقيقة

من أنا؟

كانت الصورة التي اجذبتني صورة عدد من رجال الشرطة يحاصرون مبنىً ما. كان هناك ضابط شرطة يُمسك بمكبر الصوت ويأمر من بالداخل أن يسلموا أنفسهم .. وإلا فإن رجال الشرطة سيحاولون اقتحام المكان ... كان هناك عدد كبير من سيارات الشرطة .. وواقفًا خلف إحدى سيارات الشرطة التي تقف في الخطوط الخلفية كان هناك ضابط شرطة لا تكاد تُخطئه العين .. بل كان من النوع الذي يجتذب العين اجتذابًا. كان مديد القامة أشقر الشعر وسيمًا ذا جسم رياضي قوي نشط .. كما كان يبدو شديد الأناقة في زي الشرطة .. ورمقته في حسد .. كم جريت أميالاً عديدة وحملت معدات الإطفاء الثقيلة وصعدت السلالم الطويلة .. ونزلت منها حاملاً على ظهري أناسًا .. نساءًا ورجالاً وأطفالاً وبعضهم ثقيل جدًا .. فعلت كل هذا وأنا أستهدف ضمن ما استهدف أن أحظى بجسم كهذا .. أو جسم قريب منه .. ولكن عكنتي تأبى أن تفارقني على الرغم من كل مجهوداتي ...

كان ذلك الشرطي يقف خلف سيارة الشرطة وكان باب السيارة الخلفي مفتوحًا وهو يقف بالقرب منه وكان باب السيارة مفتوحًا بالقرب من جدار، وفجأة ظهر بمحاذاة ذلك الجدار شخص ضخم وقد انسدل شعره الطويل على جابني وجهه وعلى جبهته وعينيه كذلك .. وبدت على ثغره ابتسامة بلهاء خبيثة .. كان مظهر وجه الرجل يبدو وكأنه معتوه .. كان الرجل ينساب وكأنه ينزلق أو يتزلج على لوح تزلج وتحرك الرجل في حذر ببطء حتى أصبح خلف الشرطي الذي كنت أراقبه من شاشة الكمبيوتر .. وسقط قلبي حتى بلغ أصابع قدمي حين رفع

ذلك الأحمق أحد ألواح التزحلق الثقيلة ذات العجلات التي يولع الصغار باستخدامها وهوى به على رأس الشرطي فأسقطه مضرجًا في دماءه.

ورمى الرجل الضخم بلوح التزحلق على الأرض بسرعة كبيرة ثم وضع قدميه فوقه وسرعان ما انساب خارجًا من كادر الكمبيوتر .. اختفى بعيدًا عن الأنظار دون أن يحس أحد بفعلته.

اعتراني علعٌ شديد بسبب ما رأيت .. وأخذت أنظر حولي أبحث عن وسيلة أنبه بها رجال الشرطة إلى إصابة زميلهم كي يقوموا بانقاذه بسرعة .. ولكني لم اجد .. وسرعان ما التفت بعض رجال الشرطة ممن يقفون في الصفوف الخلفية خلفهم ورأوا زميلهم على الأرض والدماء تتفجر من رأسه .. وفي دقائق معدودة وأنا مستمر في المشاهدة على الكمبيوتر .. كانت سيارة الاسعاف قد وصلت وقاموا برفع الشرطي إليها على نقالة ذات عجلات .. وتابعت الشرطي على شاشة الكمبيوتر داخل السيارة فقد كانت الشاشة تتبع الرجل حيث ذهب .. وكنت أنا مهتمًا بالمشاهدة .. إلى درجة لم أحس معها بما يحدث ..

وصلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى حيث تم انزال النقالة ذات العجلات ودفعها داخل ممر المستشفى .. وقد انتشر حولها الأطباء والممرضات .. ورقد الرجل في النقالة بلا حراك، وبسرعة تم نقل الشرطي إلى أحد الآسرة في غرفة العناية المركزة وربطه بالأجهزة الموجودة في الغرفة .. وسرعان ما كان جهاز نبضات القلب يسجل توقف عمل القلب .. وتحولت إلى مؤشر الجهاز الذي يقيس كهرباء المخ ليعلن توقف ارسالات المخ .. لقد مات الرجل .. وتملكني الهلع، ومددت يدي وأنا في حالة ذعر شديد إلى زر جهاز الكمبيوتر كي أغلقه .. لا يجب أن أحل محل الشرطي في جسده .. لا يجب أن أحل محله

.. ولكن يدي لم تصل إلى زر جهاز الكمبيوتر .. لقد سبق السيف العزل .. ولم تسعفني سرعتي حتى أغلق جهاز الكمبيوتر في الوقت المناسب.

وأحسست فجأة بأنني أكافح كي أتنفس وأن قلبي يكاد يتوقف .. ولا أستطيع تحريك أي جزء من بدني .. وفقدت الرؤية وإن كنت ألمح من خلال جفوني المغلقة أطيافًا بيضاء تتحرك من حولي .. وسرعان ما أحسست بالأكسجين ينبعث ثانية داخل قناع الغازات المثبت على فمي وأنفي .. وأحسست بشحنات كهربائية تبعث بالألم الشديد إلى جسدي كله .. وصدري ورأسي يكادان ينفجران .. أتتني صدمة كهربائية قاتلة .. كنت أحس أنني أموت .. ارتفع جسدي إلى أعلى وعاد ليغوص داخل سرير المستشفى .. إنه جهاز الصدمات الكهربائية للقلب .. وتناهى إلى سمعي صوت جهاز قياس نبضات القلب يرسل أصواتًا تدل على عودة عمل القلب من جديد وسمعت صوت الطبيب يقول ضاحكًا: "مرحبًا بعودتك إلى الحياة يا عزيزي." .. ودارت بي الأرض .. ولم أدر بشيء.

ألم أقل لك يا محمود أن تغلق الكمبيوتر .. لماذا لم تغلقه .. قُضي الأمر .. إنك قد أصبحت ذلك الشرطي. كان هذا الصوت يسيطر على أحلامي أو قل كوابيسي. كنت أرى نفسي أتقلب في الفضاء وبدني راقد يدور في دوائر وكلما اقتربت من احد الكواكب وجدته وقد أصبح على صورة ذلك الشرطي الوسيم الذي سرعان ما تنقلب وسامته قبحًا غير عادي .. وتتمدد أسنانه كأسنان أسماك القرش .. ليبتلعني .. ميزة هذا البرنامج أنه لا يبتكر لك كابوسًا واحدًا لانهائيًا فتمله .. بل يصنع تنويعات من الكوابيس .. بالألوان الطبيعية طبعًا .. تتغير بسرعة البرق .. دفعًا للملل .. ولمزيد من التسلية .. وأي تسلية.

حركت جسدي وأنا أفيق من غيبوبتي .. كانت هناك المئات من الإبر تنغرس في جسدي .. وخلعت قناع الأوكسجين .. فقد أحسست أن التنفس الطبيعي يريح صدري بصورة أفضل .. ورمقتني الممرضة التي كانت موجودة في الغرفة بنظرة سعيدة تقول فيها شيئًا كحمدًا لله على سلامتك مثلاً .. أو أنا قد شاركت في هذه السلامة .. منتهى التفاني والإخلاص .. لا أدري لم تمنيت لها كابوسًا ككوابيسي رغم أنها فكرة شريرة، ولكن .. لو لم تعمل بمنتهى الكفاءة والإخلاص .. فربما كنت في تلك اللحظة جالسًا أنعم بالملل في غرفتي بدلاً من ذلك الألم الذي يدك أعضائي وبالذات رأسي .. وسألت الفتاة إن كان من الممكن أن أحصل على مرآة كي أرى الجرح في رأسي وأتتني الفتاة بما طلبت فورًا .. وكأنها كانت تنتظر طلبي هذا وكانت تبتسم بسخرية

رأيت في المرآة وجه الشرطي الأشقر الذي طالعني قبل ذلك في الكمبيوتر .. وقد خيب ذلك أملي وإن كان قد اتفق مع توقعاتي إلى حد ما .. ونظرت إلى رأسي التي كانت تؤلمني وكأن بناءًا قد انهار فوقها .. لكن ما رأيته هو طبقة رقيقة جدًا من الشاش تحيط برأسي .. يبدو أن نيويورك وقتها كانت تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة .. إلى درجة أنها كانت توفر في استعمال الشاش ...

ونظرت إلى الممرضة ووجدتها تبتسم وهي توجه لي نظرة ذات معنى وقالت: "لقد راهن كل زملائك على أنك ستطلب المرآة فور استيقاظك من غيبوبتك."

إذن فقد أحسوا أيضًا أن الحكومة الأمريكية توفر في استعمال الشاش .. ولكن نظرة الفتاة لم تكن تعني ذلك .. فكففت عن النظر إلى المرآة ونظرت لها متسائلاً: "ولم؟"

وردت الفتاة: "يعرف الجميع أنك شديد التأنق."

تخيل معي شخصًا يستيقظ من الغيبوبة ويطلب فورًا مرآة ليرى هل شعره منكوش أم لا وهل ذقنه حليقة أم لعله بعض الزغب قد نبت عليها فشوه منظرها الجميل .. إن للفتيات أفكارًا غريبة.

وأردفت الفتاة وهي تراني أنظر إلى المرآة بشك: ""إن لك عذرك في هذا، فلم يغادر أي من الصحفيين أو رجال الإعلام ومذيعي التليفزيون مبنى المستشفى منذ ليلة أمس؟"

عم تتحدث هذه المخبولة!

وسألتها: "رجال صحافة وتليفزيون وإعلام .. لماذا؟ الحق أنني لست أذكر شيئًا بل وإني لم أسألك من أنا فور استيقاظي إلا أني لا أذكر ما هو اسمي. لقد كان رأسي يؤلمني بشدة ولهذا أردت أن أرى الجرح أولاً، وكان هذا تصرفًا تلقائيًا، ولكني بالفعل لا أذكر ما هو اسمي .. كل ما أذكره هو أنني كنت أرتدي ثياب الشرطة .. على ما أظن .. قبل أن ينهال شيء على راسي .. وردت الممرضة وعلى وجهها نفس الابتسامة التي أصبحت أشك في أنها تعبير وجهها الطبيعي إلا أنها قد تكون ابتسامة سخرية: "لقد تنبأ دكتور جورج باحتمال اصابتك بفقدان ذاكرة جزئي مؤقت كما تنبأ بحدوث تغيرات مؤقتة في قدراتك السمعية واللفظية .. من جراء الضربة التي تلقيتها على رأسك .. وتوقف مخك عن العمل لبرهة .. وقد صحت توقعاته .. سأستدعيه لك."

تغيرات في قدراتي السمعية واللفظية .. لماذا؟ إنني أتحدث بشكل طبيعي .. آه .. لعلها اللهجة المصرية التي تصاحب

كلامي والتي تجعلني أتحدث بشكل أبطأ مما يفعل الأمريكيون عادة وبلكنة مختلفة.

وقلت للفتاة متوسلاً: "كلا .. كلا .. لا تغادري .. أريد أن أسألك بعض الاسئلة .. لقد تحدثت عن صحفيين ورجال إعلام ويبدو أنك قد عنيت أنهم ينتظرونني ..لماذا؟ ألست رجل شرطة؟ أم لعلني كنت ممثلاً يرتدي ثياب رجال الشرطة؟" وخطر لي خاطر من مغامرتي السابقة عبرت عنه فورًا: "أم لعلني كنت مجرمًا يرتدي ثياب الشرطة .. أرجوك صارحيني."

وقالت الفتاة ببساطة السهل الممتنع: "إنك هال جونسون."

قالتها الفتاة وكانها قد فسرت كل شيء. حقًا .. إذًا فأنا هال جونسون .. إنها تبدو لي كماركة لبان .. أو ربما اسم شركة تعمل في تصنيع أنابيب الصرف الصحي .. من هذا الهال جونسون الذي تتكلم عنه الفتاة وكأنه تمثال الحرية مثلاً.

وسألت الفتاة متلعثمًا: "من؟"

ورددت الفتاة عبارتها الأولى وقد ظهرت نظرة عدم تصديق عميقة في عينيها. إن الناس جميعًا كما يبدو وحتى فاقدي الذاكرة وربما الأجنة في بطون امهاتهم يعرفون من هو هال جونسون هذا.

وكانت نظرتي إلى الفتاة تعكس سؤالاً واضحًا برغم تكرار اجابتها .. من هو .. بلا مؤاخذه .. هذا الهال جونسون؟

ورأت الفتاة نظرة عدم الفهم في عيني .. وقالت وقد تضاعف تعبير عدم التصديق في عينيها: "إنك أشهر شرطي في

نيويورك .. بل في أمريكا .. بل ربما كنت أشهر شرطي .. في الغرب بأكمله ..أنت هال جونسون."

وراعتها نظرة عدم التصديق التي بدت على وجهي أنا هذه المرة وقالت: "سأستدعي لك الطبيب" ورددت مستنكرًا: "كلا، فأنا أفضل أن أتحدث معك أنت."

ولكنها كانت قد خرجت بسرعة .. وعادت بعد دقائق ومعها طبيبان. وقال الطبيب الأول وعلى وجهه ابتسامة قصد منها أن تعبر عن التهنئة والسعادة بنجاتي .. تعبير لا يتفق أبدًا مع الألم الذي أجده في رأسي: "عزيزي هال جونسون. أرى أنك قد تحسنت." قالها بلهجة الأطباء التي تعني أن يعتقد أن مريضه سيسقط ميتًا بعد دقيقتين، ولكنه يهون عليه وقد تعني أنك حقًا شفيت ويجب أن تخلي السرير فورًا وقد تعني أي شيء.

قام الطبيب بالكشف علي وتحركت أمامه ومشيت أمامه حول الغرفة. كان قد أحضر عكازين كي اتحرك بهما ولكني قمت ومشيت أمامه حول الغرفة بشكل طبيعي فعلى ما يبدو لم تتأثر قدراتي الحركية بالضربة التي تلقيتها على رأسي.

وقال الطبيب وكان كما اعتقد يشعر بالاندهاش من تحسني السريع: "بالطبع، هناك المزيد من التحاليل المعملية التي يجب أن نجريها للتأكد من أن كل شيء على ما يرام، ولكن التحاليل الأولى تدل على حدوث معجزة فقد تحسنت بسرعة وعادت كل أجهزتك الحيوية تعمل كما لو كانت لم تتضرر على الإطلاق، وإن كان هناك عدم انتظام خفيف جدًا في كهربية مخك، فقد تأثرت بالضربة الشديدة التي تلقيتها على رأسك بلا شك، ونحن نتوقع أن تواجه في الأيام القادمة فقدانًا مؤقتًا لذاكرتك فيما يخص الأحداث القريبة التي طرأت على حياتك، كما أن

الممرضة تقول أنه قد ظهرت عليك بالفعل بعض التغيرات في قدراتك السمعية واللفظية، وبالتالي فيجب أن يتم إجراء المزيد من الكشف بالأشعة المقطعية على دماغك لمعرفة الحالة بالضبط، ولكني أظن أن كل شيء سيكون على ما يرام خلال أيام قليلة، بل إننا مبدأيًا سنسمح بخروجك إلى بيتك في الغد صباحًا، وللمزيد من إشعارك بالطمأنينة بالنسبة لحالتك الصحية، فسوف أسمح بأن يزورك بعد العاملين معك واللذين ينتظرون منذ ساعات في خارج الغرفة وسأتركهم يدخلون إلى غرفتك للاطمئنان عليك بمجرد خروجي من غرفتك."

وسرعان ما امتلأت غرفة المستشفى التي كنت فيها بالعديد من الرجال والنساء اللذين كانوا يرتدون زي الشرطة، وكانوا جميعًا مبتسمين ودودين يصافحونني ويربتون على كتفي، وإن كنت أنا بالطبع لم أتعرف على أحد منهم، فقد كانوا جميعًا غرباء بالنسبة لي وسألني أحدهم وهو أشقر الشعر قصير القامة وإن كانت تعبيرات وجهه غير مريحة بالنسبة لي: "كيف حالك أيها الشرطي القديم؟ لقد انتهيت وحل محلك توأمك الروحي كما سمعنا." كان الرجل يبتسم وكأنه قد قال نكتة، ولكنه بالطبع اقترب من الحقيقة بأكثر مما كان يتصور، وإن لم أكن أنا بالطبع توأم هال جونسون الروحي، بل ربما توأمه الكمبيوتري.

أما لماذا لم أسمع أنا محمود ثابت عن هال جونسون هذا على الرغم من أنني كنت أعيش في أمريكا فلأنني كي أقوم بكل الأعمال التي كان علي القيام بها أثناء دراستي في أمريكا ولتجنب إضاعة الوقت فلم أكن أشاهد التلفاز أبدًا، بل لم أكن أمتلك جهاز تلفاز أصلاً، ولهذا فقد كنت أحس حين يتحدث من حولي الأمريكيون وأنا في أمريكا بأنني أقيم في قارة أخرى ففي

معظم الوقت لم أكن أعرف عم يتحدثون حين يخوضون في إحدى القضايا العامة أو يناقشون أحد الأحداث الجارية.

سكت الجميع وكأنهم قد تركوا لي الكلمة فقلت متلعثمًا: "الحق أني لا أذكر أحدًا منكم، ولكن الطبيب قد تنبأ بأنني سأصاب بفقدان ذاكرة مؤقت وتغير مؤقت في قدراتي السمعية واللفظية" ويبدو أن صوتي واللكنة الغريبة التي كنت أتحدث بها قد أذهلت من حولي ولكنهم تماسكوا بسرعة، وقال الفتى الأشقر وهو يربت على كتفي: "لقد سمعنا بهذا يا هال، ولكن المفيد أن تتماسك أمام رجال الصحافة وتتظاهر بأن شيئًا لم يتغير فالكثير من سمعة قوة شرطة مكافحة المخدرات، وكذلك الدعم المالي الكبير الذي تتلقاه الفرقة، تعتمد على سمعتك، ولن يضيرنا هذا التظاهر كثيرًا فسرعان ما ستعود إليك ذاكرتك وتصبح أفضل من ذي قبل."

وربت ذلك الرجل والذي بدا لي صديقنا يطمئن على صديقه وإن كان شكله لا يبعث في قلبي الطمأنينة على الإطلاق ووجدت مجموعة من الرجال من حوله يومئون برؤوسهم كأنهم يوافقونه على ما يقول. ماذا قال؟ هل قال أن سمعة فرقة مكافحة المخدرات والدعم المالي الذي تتلقاه تعتمد عليّ أنا؟ إذن فقد ضاعا. كان من الواضح أن هناك قلق عام في عيون جميع من جاؤوا يطمئنون على هال جونسون. لقد جاؤوا ليطمئنوا على سمعة الفرقة وتمويلها.

وقال ذلك القصير الأشقر: "وعلى أية حال، فإنك لن تضطر لمقابلة العاملين في الصحافة في القريب العاجل، ففي الصباح سنقوم بتهريبك متنكرًا في ثوب أحد الأطباء، وسنخرج من أحد الأبواب الخلفية للمستشفى في إحدى سيارات الإسعاف حتى نتجنب العاملين في الصحافة والأعلام.

وحين رأى الأشقر نظرة وجههي الخالية من المعرفة قال: "بالمناسبة، لا تقل أنك قد نسيت توم مايلز صديقك القديم؟"

كان من الواضح أن توم مايلز هو المتحدث الرسمي بإسم المجموعة الموجودة والتي قدم لي أفرادها أنفسهم تباعًا، وهم يضحكون لأنه أمر أشبه بتمثيلية .. فكل منهم يقدم نفسه لشخص يعرفه جيدًا .. كانت الكلمات تتطاير بسرعة كعادة الناس حين يذكرون معلومات تدربوا لسنوات عديدة على ذكرها حتى أني لم ألتقط سوى بعض الأسماء فالفتاة الطويلة ذات الشعر الأسود هي إليزابيث لويس والعملاق الأسود الطويل اسمه جاك كلاوس والشاب الأبيض ذو الوجه الأحمر والبدين نسبيًا هو جيرالد ماكنزي .. وإن كنت لم أستوعب بقية أسماء الحشد الذي ملأ الغرفة وتحدثت إحدى الفتيات فقالت: "إن الزعيم لم يأت بعد."

ورد مايلز بلهجة تشف: "لعلها توقعت أن هال قد مات مما حقق لها أعز أمنياتها." إذن فأنا الشرطي السوبر المحبوب كثير الأصدقاء، ولكني لست رئيس فريق العمل، بل هناك امرأة تُلقب بالزعيمة تترأسني وعلاقتي بها طيبة إلى درجة أنها تتمنى موتي ويبدو أن معظم الموجودين لا يثقون بتلك الزعيمة المزعومة.

وسرعان ما سمعت أحدهم يقول: "صه. إنها قادمة."

وفجأة، كان هناك شيء يسد الباب. إنها فتاة على ما أظن، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بذلك، فعلى الرغم من شعرها الطويل، وبعض ملامح أنثوية في وجهها، إلا أنني لا أستطيع أن أفهم ما هو سبب وجود تفاحة أدم في منتصف حلقها. هل تملك النساء عادة تفاحة آدم في منتصف أعناقهن؟ كلا. عادة لا يرى الناس

تفاحة آدم في أعناق النساء – هناك فقط الحلي والقلائد والعقود. هل تم التأكد من أنها أنثى؟ لا علم لي. إما أن هذه هي تفاحة أدم أو أن عنق الفتاة غليظ إلى حد مرعب. هناك شيء مريب في هذه المرأة، وأحسست بنفور طبيعي نحوها منذ اللحظة الأولى.

قدرت طول الفتاة فورًا بمائة وثمانين سنتيمترًا فما فوق، وأما محيط صدرها وعرض كتفيها، فأشك أنها قد ضربت بهما الأرقام القياسية للرجال والنساء معًا. كانت تشبه إلى حد بعيد البطلات اللاتي تقمن بقذف الجلة والرمح في الدورات الأولمبية بعد سنين من ممارستهن الرياضات النشطة حين تتقاعدن وتضع كل منهن على عاتقها عددًا كبيرًا من الكيلوجرامات الزائدة. لم تكن تلك المرأة بدينة ولكنها لم تكن رشيقة كذلك. كانت هائلة الحجم. ترى من أين أتوا بهذه المرأة؟

لا أظن أنه يوجد أكثر من امرأة واحدة مشابهة لهذه بهذا الجيل أي من عشرين إلى ثلاثين عامًا كاملة. إذا فهذه هي عدوتي. لا أذكر من قال: "إن كل الناس تقريبًا سينصحونك أن تختار أصدقائك أما أنا فأنصحك أن تختار أعدائك." كان على هال جونسون أن يختار أعدائه .. أو قل يختار أعدائي أنا .. ترى أهي التي حرضت ذلك الشخص الضخم الذي ضرب هال جونسون على رأسه بلوح التزلق؟ ربما. إنها تبدو شريرة بما يكفي، ولكن مهلاً أظن أنني أنا .. باعتباري هال جونسون .. أطول وأضخم منها .. وبالتأكيد أقوى .. ولكن يجب أن تشاهدوا تلك المرأة وقوامها الذي يشبه قوام ثور مقاتل .. حتى تعرفوا عم أتحدث.

وبمجرد أن ظهر رأس المرأة داخلاً من الباب حتى ران على الغرفة كلها الصمت بعدما كان كل من في الغرفة يتحدثون مع

بعضهم البعض. إنها الهيبة على ما أظن، وربما كان الخوف أو قل الرعب الأعمى. لا فرق. وسمعت صوتًا نسائيًا يقول بنبرة حاسمة بينما تفاحة أدم تتحرك: "هال جونسون. أرى أنك بخير. ما هذا الذي يقوله ذلك الطبيب عن فقدانك الذاكرة. أيعني هذا أنك لا تتذكرني؟" وأكملت المرأة حديثها بلا أي توقف أو انتظار لإجابة مني. كما أكره هؤلاء الناس الذي يظنون أنهم يعرفون كل شيء فيسألون الأسئلة ويجيبون عليها قبل أن تفتح فمك. "لقد كان العمدة في طريقه للمستشفى للاطمئنان عليك، ولكني أخبرته أنك بالتأكيد تتمارض وشكرته بالنيابة عنك."

وأردفت الفتاة بلهجة متحدية: "إنك لن تحصل على إجازة طويلة لا تستحقها بطرقك الملتوية المعتادة. كل ما ستناله من تنازلات هو أنني سأعطيك إجازة لليومين القادمين في عطلة نهاية الأسبوع."

إنها هي من حرضت على قتلي دون شك. وظهرت ابتسامة ساخرة في ركن فمها: "ولن يسمح لك هذا بالطبع بالذهاب إلى البهاما كما كنت تتمنى." وعادت لهجتها الرسمية: "وبهذا فأنا أتوقع وجودك صباح يوم الأحد القادم في مكان العمل. أهذا مفهوم؟"

وسكتت المرأة هذه المرة بطريقة توحي أنها تتوقع الرد، وقد باغتني سؤالها ولهجة الأمر في صوتها بالإضافة إلى دخولها المفاجيء والجو المسرحي الذي خلقته بدخولها، بالإضافة إلى أن كلماتها المتسارعة التي نطقت بها كمدفع رشاش قد أربكتني وتحشرج الكلام في فمي وقلت بصوت ضعيف: "نعم. نعم. إن هذا مفهوم."

ولئن أنسى .. لا أنسى نظرة الدهشة الشديدة التي ظهرت على وجه المرأة حين تحدثت. لا أدري هل هذه الدهشة نابعة من لكنتي، أم من محتوى حديثي والخضوع الذي أظهرته، ونظرت إلى وجوه من حولي فوجدتهم جميعًا يحيطونني بنظرات بدا فيها الرعب أو الصدمة أو الذهول المختلط بالصدمة. لماذا؟ لقد فهمت أنها الرئيسة. ترى ماذا كان يفعل هال جونسون لو حادثته المرأة بتلك اللهجة الآمرة؟

وغابت تلك النظرة من على وجوههم وحل محلها غضب مكتوم حين وجهت المرأة حديثها إليهم: "وأنتم. ألا تخجلون من أنفسكم؟ ألا تكفون عن النفاق؟ إن الرجل سليم كما هو واضح وبالتالي لا يحتاج إلى وجودكم إلى جواره .. وعلى أفراد الوردية المسائية أن يتواجدوا بأماكن عملهم فورًا .. وبلا أي إبطاء."

وبلا أية كلمة بدأت مجموعات منهم في الخروج .. وإن كانوا جميعًا وأكاد أقسم على ذلك .. فقد اتخذوا خطوة نحو الباب فور انتهاء المرأة من كلامها ويبدو أن عددًا منهم قد تذكر أنهم ليسوا من أفراد الوردية المسائية .. وأنهم غير مجبرون على المغادرة .. فظلوا واقفين في أماكنهم ...

واستدارت المرأة بحركة عسكرية خارجة من الغرفة بعد أن نظرت لي ببرود وقالت لي بصوت كالثلج: ".. آه .. لقد نسيت .. هال جونسون .. حمدًا لله على سلامتك."

ونظرت خلفه لبرهة بعد أن خرجت من الغرفة، ثم مضت. وتصاعد الغضب في صدري حتى بلغ حلقي .. من هذه؟ وكيف تجسرعلى أن تحدثني أنا هال جونسون بهذه الطريقة. يا لها من إمرأة لا تحتمل. لقد صدق ذلك الشرطي المقيت الأشقر

مايلز حين قال أنها تتمنى موتي، فهي تبدو من النوع المسيطر المتسلط الذي يكره أن يتمتع أحد مرؤوسيه بالشهرة والنجاح أكثر منه.

وأحسست بيد الشاب مايلز تربت كتفي وهو يقول: "هون عليك يا هال. إنك تعرفها .. وتعرف صلفها وعجرفتها" وخفت صوته وهو يستطرد: "سنجد وسيلة في القريب العاجل لتحجيمها أو الخلاص منها. لقد استغلت أنك متعب بعد الحادثة، وقامت باستعراضها الحقير لكننا سنعرف كيف نرد لها الصاع صاعين في المستقبل."

ونظرت إلى يد الفتى على كتفي، ولا أعرف لم أحسست بالنفور الشديد منه، والرغبة في أن أقذف ذراعه بعيدًا عني رغم أنه بدا لي كصديق يهون عن صديقه. كان الفتى وسيم الوجه حسن المظهر وهو يتحدث بلهجة متعاطفة ولكني لم أستطع أن أحس نحوه بمشاعر إيجابية. لا أدري لماذا. قاومت شعوري بالرغبة في التخلص من يده على كتفي، فأنا في أمس الحاجة إلى صديق في لحظة كهذه، وإن كان هناك شيء في مايلز هذا لا يريحني.

وسرعان ما كان الموجودين يصافحونني ويربتون على كتفي مكررين تعبيرهم عن فرحتهم بنجاتي، ويتركونني واحدًا تلو الأخر. الغريب أن أحدًا لم يسألني ما الذي حدث لي؟ أو عمن ضربني؟ أو عن السبب الذي أدى بي إلى أن أصبح في حالة بين الحياة والموت عندما نقلوني إلى المستشفى. ترى هل كانوا يعلمون؟ هل رأوا ما حدث؟ لم تكن معرفتي بهؤلاء الزملاء الذين جاءوا للاطمئنان على صحة هال جونسون تسمح لي بسؤالهم، وعندما فكرت في الأمر وجدت أنه من الأفضل لي

أن أستمع بشكل أكبر وأتجنب الأسئلة المباشرة حتى أعرف ما هو الوضع بالضبط.

بقى معي مايلز لفترة ثم ودعني قائلاً: "استرح يا صديقي، وفي الغد نقوم بتمثيلية سيارة الإسعاف والطبيب وتكون في بيتك." وغمز بطرف عينه بشكل صبياني وهو يقول: "كي تؤدي عملك." .. وخرج مبتسمًا وأنا أتعجب .. ماذا كان يقصد هذا الأبله؟ أم لعلني أنا الأبله؟..

من هو هال جونسون؟

في الصباح، لم يظهر مايلز .. بل حل محله شرطي أسود ضخم .. أصلع الرأس وفي مثل حجمي كهال جونسون تقريبًا، وإن صاحبت ضخامته هذه بدانة .. فبدا كجبل متحرك وبدت على وجهه أعتى إمارات الغباء، أو قل قام هو بمسح أي تعبيرات للوجه من على وجهه فبدا وكأنه مصمت لا يشعر بشيء .. لم يكن الرجل يرتدي ثياب الشرطة، ولكني عرفت أنه شرطي منذ اللحظة الأولى.

تسألونني كيف عرفت أنا أنه شرطي. إنه أمر لا تخطئه العين، فلو كُتب على جبينه "أنا شرطي" لما كان الأمر واضحًا بهذه الصورة، أما الشيء الأخر الواضح وضوح الشمس فهو أن ذلك الرجل كان يمقتني.

ايقظتني الممرضة فأغتسلت وارتديت ملابس كانت معدة لي في منطقة استقبال المستشفى ووقعت عدة أوراق خاصة بالتأمين الصحي .. ثم قادتني الممرضة إلى ذلك الجسد الأسود الساكن المتحرك، ولم يحدثني الجبل بكلمة واحدة، بل أشار لي بطرف يده كي أتبعه.

لم نقابل أحدًا في طريقنا .. اللهم إلا إمرأة تجري في دهاليز المستشفى، فقد كانت الساعة لا تتجاوز السابعة صباحًا، وعند الباب الخلفي للمستشفى كانت تنتظرنا سيارة إسعاف ابتسم قائدها تحية لي كدليل على أنه قد تعرف علي حين رآني .. مما ملأني بالزهو .. وحانت مني نظرة إلى ذلك الشرطي الذي كان مكتوبًا على بطاقة موضوعه على صدره .. الشرطي جيريمي تانت .. فوجدته يرمقني بنظرة أقل ما يقال عنها أنها نظرة احتقار.

توقفت بنا سيارة الإسعاف بعد ربع ساعة أما سيارة خاصة فتح تانت بابها ثم فتح قفل الباب الثاني من الداخل .. حتى أركب بجانبه وقادني تانت إلى مبنى فخم عبارة عن مجموعة فخمة من الشقق السكنية في منتصف منهاتن .. من النوع الذي يقف أمامه عادة بواب يرتدي زيًا خاصًا .. ولكن لم يكن هناك بواب يقف وقتها أمام الباب. ويسكن مثل هذه المباني عادة كبار المحامين ومديروا الشركات الخاصة وغيرهم من رجال المال والأعمال.

توقف تانت أمام المبنى .. ونظرت إلى وجهه .. فوجدت عليه تعبيرًا يشبه الملل .. وأقول يشبه .. لأن الملل هو تعبير وجهه الأصلي .. ولكني على أي حال شعرت أنه ينتظر بفروغ الصبر .. وكأنه يفترض أن عليّ أن أفعل شيئًا ما .. وقررت أن أقطع الصمت وقلت: "لقد كان المفروض أن تقودني إلى بيتي. أليس كذلك؟"

لمعت في عيني الرجل نفس النظرة الحاقدة التي رأيتها على وجهه قبلاً وهو يقول: "أنك تغير لهجتك وتتظاهر بفقدان الذاكرة، حتى توحي لي أنك قد نسيت اللعبة القذرة التي دبرتها لي مؤخرًا. لا تتعب نفسك. أنا لا أصدقك، ولن أصدقك أبدًا .. وحين ترفع عنك الحماية، سأعرف كيف أقتص منك، والآن انزل من السيارة .. قبل أن ألقيك خارجًا."

فتحت باب السيارة وخرجت وبمجرد إغلاق بابها انطلق تانت بها دون أن يكلف نفسه مؤونة النظر خلفه .. ما هذا؟ لعبة قذرة .. ترفع عني الحماية! .. أية حماية ... هل هي حماية زي الشرطة؟ .. ولكني كنت وقتها ارتدي الملابس المدنية .. ماذا كان يقصد هذا أيضًا .. لا أعرف.

ونظرت إلى البناية التي نزلت أمامها .. لا يمكن أن أسكن في مكان كهذا .. كم يبلغ مرتب ضابط شرطة كهال جونسون على أي حال؟ ..

وفتحت حافظة نقود هال جونسون التي سلمتها لي المستشفى والتي لم أجسر على فتحها قبلاً .. حتى لا يعرف أحد أنني أجهل ما بها .. وأخرجت رخصة القيادة كي استدل على العنوان .. ولم أحتج إلى قراءته فسرعان ما فُتح باب البناية الذي كنت واقفًا أمامها وخرج منها رجل متقدم في السن يرتدي ثياب الرياضة ويستعد للجري .. وأشار لي الرجل بيده وهو يجري .. بما يعني ربما أنه يعرفني .. وظهر خلفه شابًا صغيرًا يرتدي زيًا رماديًا وما إن رآني وحول رأسي عدد من قطع البلاستر كما خرجت من المستشفى حتى صاح: "حمدًا لله على سلامتك يا مستر جونسون. لقد كنت أشاهد منذ قليل النشرة الإخبارية التي كانت تعيد تفاصيل الحادث الأليم الذي أصابك. آمل أن تكون بخير." .. وتنحى الشاب وهو يقول ذلك بحركة بدا معها وكأنه ينتظر أن أدخل أنا إلى داخل تلك البناية.

وقرأت اسمه على البطاقة المعدنية الموجودة أعلى جيب سترته وقلت بسرعة: "نعم يا لويس. أنا بخير. شكرًا على سؤالك." وراعتني نظرة الدهشة على وجهه والتي أخفاها بسرعة .. هل هي لكنتي أم اسمه .. بماذا كان هال جونسون يدعوه "لوي" .. "أم لو" .. أم ماذا؟

ودخلت إلى ردهة المبنى الفخم لأدوس على السجادة الحمراء.. ومن بعيد رأيت ابتسامة عامل المصعد الذي قال أشياءًا قريبة مما قاله عامل البوابة .. من الجيد أن هناك أشخاصًا لا يمقتونني ويرون أن نجاتي من حادث أصابني هو شيءٌ جيد. وصعدت في المصعد مع عامل المصعد .. وبعد وقت قصير

أشارت علامة المصعد إلى الدور التاسع .. وفتح لي عامل المصعد بابه .. وتنحى جانبًا .. تاركًا لي المجال للخروج .. شكرته .. وواجهتني نفس نظرة الدهشة .. لابد أنها لكنتي المصرية ..وخرجت من المصعد لأجد نفسي أمام عدد من الشقق، وقلبت بين يدي سلسلة المفاتيح التي استلمتها مع الثياب في المستشفى .. وسرعان ما وجدت مفتاحًا كتب عليه رقم ٩٧ واضحًا .. تقدمت نحو الشقة رقم ٧ .. وضعت المفتاح في القفل .. ودار المفتاح .. لأجد نفسي في شقة فخمة للغاية وبدا كل شيء في مدخلها نظيفًا ولامعًا ومصقولاً.

سيكون مأزقًا كبيرًا لو لم تكن شقتي .. فلا أظن أن أي ضابط شرطة في العالم يمكنه أن يمتلك شقة كهذه .. ولكني لم أحتج إلى الاكثار من التساؤل .. فلم أكد أتخطى ردهة المنزل حتى وجدت صورة كبيرة جدًا لهال جونسون وهو يبتسم .. إذا فهذا هو بيتي .. مؤقتًا. ولم أتوقف كثيرًا أمام دهشتي وتساؤلاتي .. كنت جائعًا فأنا لم أتناول وجبة العشاء وكذلك لم أتناول وجبة الافطار في المستشفى لاضطراري إلى الخروج مبكرًا منها.

ذهبت إلى الثلاجة وهناك وجدت الأكداس المعتادة في الثلاجات الأمريكية من علب البيرة ومختلف زجاجات الخمر، ووجدت هامبورجر .. ولما لم أكن أعرف من أي لحم صنع، فقد تجاهلته وصنعت لنفسي قرص أومليت سريع وتناولت بعض الجبن ثم شربت زجاجة مياه غازية .. واتجهت إلى ما ظننت أنها غرفة النوم .. كانت غرفة النوم هذه هي أكبر غرفة نوم شاهدتها في حياتي. كانت كبيرة لدرجة فكاهية .. هذا الشخص ينام في غرفة تماثل في حجمها حجم ملعب كرة سلة .. إن لم يكن ملعب كرة قدم صغير .. كانت غرفة النوم مليئة في كل ركن منها بصورة هال مع العديد من الأشخاص .. نجوم عالميين ..

ولاعبين مشاهير لكرة القدم الأمريكية .. المهم .. اتجهت إلى السرير الذي يشغل نصف الغرفة وغرقت في سبات عميق.

استيقظت وقد أوشكت الشمس على المغيب، وتقلبت على الفراش وأنا أحاول أن أتذكر أين أنا .. وفتحت الأنوار، ولم يكن علي بذل الكثير من الجهد كي اتذكر .. أنا في غرفة نوم هال جونسون الواسعة .. التي تتناثر صوره في كل ركن منها.

ونظرت في إحدى المرايا .. لم يعد هال جونسون يبدو لي بهذه الوسامة والجاذبية. وافتقدت صورتي القديمة .. صورة محمود بجوانب الضعف والقوة فيها. إنه لشيء مروع أن يكون هناك ذلك الفارق الكبير بين صورتك التي يراها الناس وصورتك التي تحتفظ بتفاصيلها في داخلك .. ومهما كنت تحسد غيرك على جمال شكله أو رشاقته أو قوته .. فإنك إنما تتمنى أن تكون لك صفة فيه .. ولكنك لن تقبل أبدًا أن تستبدل جسدك بجسده .. حتى لو استطعت.

وشعرت بشيء من الحزن ولكني نفضت عني هذا الشعور فورًا. ومضيت إلى المطبخ وأخذت أبحث عن مكان توجد به بعض حبوب الأسبرين، وبعد لأي وجدتها، ثم أخذت أبحث عن أي نوع من أنواع الشاي. ألا يشرب هذا الرجل الشاي؟ .. كلا، إنه لا يشربه، ولكني وجدت بعض القهوة السريعة وأعددت لنفسي بعضًا منها باللبن على الرغم من أنني لا أحبها أبدًا، ثم مضيت أبحث في أدراج الدواليب في الشقة ولفت نظري شيء غريب، فعلى الرغم من أننا نعيش في أمريكا أم ثورة المعلومات[٣] .. إلا انه لا يوجد في بيت هال جونسون أية كتب

[٣] ثورة المعلومات في عام ١٩٩٥ حين كتبت هذه الرواية كان معناها أوراق مطبوعة. لم تكن هناك وسائط الكترونية فيما عدا بعض وحدات التخزين التي كانت تُسمى وقتها بال floppy disks. غير ذلك لم يكن هناك شيء يحتفظ بالمعلومات سوى هارد ديسك

أو مجلات .. أو حتى أوراق .. وأعني بتاتًا البتة .. حسنًا فلنفترض أنه لا يقرأ أبدًا، أين توجد أوراقه الشخصية؟ .. أوراق دراساته السابقة .. وغيرها .. وسرعان ما كنت أقلب داخل خزائنه .. كانت الخزائن الضخمة الواسعة جدًا تمتليء بالعشرات إن لم يكن بالمئات من قطع الثياب. بدل وقمصان وأحزمة وبنطلونات من مختلف الأشكال والألوان .. ولكن لا توجد أية أوراق. وبعد فترة من التفتيش .. اهتديت إلى شيء بلاستيكي في الجاكت الخاص بإحدى البدل المعلقة داخل خزانة الثياب. كانت البطاقة هي بطاقة شخصية تحمل صورة هال جونسون ولكن اسم صاحبها لم يكن هال جونسون بل كان ريتشارد هاتلي، وكان هناك عنوان أخر مقيد بتلك البطاقة.

إذن فلهال جونسون مكان آخر وهو يستأجره باسم مستعار .. لماذا؟ .. إنه ضابط شرطة شهير على حد علمي .. ولا يحتاج إلى ذلك .. هل يقوم ببعض العمل كشرطي متنكرًا في شخصية أخرى. لا يمكن، فلابد أن جميع رجال العصابات يعرفونه. أود أن أستكشف هذا الأمر ولكني أخاف أن أذهب إلى العنوان فأجد نفسي متورطًا مع عصابة أو أواجه شخصًا آذاه هال جونسون فمن الواضح أن خيره عميم على كل من يعرفهم.

ظللت أفكر في الأمر فترة. المهم .. قررت أنني لن أعرف من تلك الشقة في مانهاتن أي شيء شخصي عن الرجل الذي تلبست جسده .. ولما كانت المعرفة هي خياري الوحيد للخروج من المازق الذي وضعت نفسي فيه .. فقد أسرعت بالخروج من البناية .. وأشرت إلى تاكسي أعطيته العنوان الموجود في

الكمبيوتر وكانت سعة هارد ديسك الكمبيوتر الأول الخاص بي ٦٤٠ ميجا كاملة وكانت عليه نسخة ويندوز 3.11. هذه هي الحقيقة والتي أظن أن معظمكم لن يصدقها. (لم يكن هناك شيء معروف اسمه الجيجا وقتها) - حاشية المؤلفة

البطاقة التي عثرت عليها .. وسرعان ما وقف بي التاكسي أمام فيلا فخمة في منطقة سكنية في إحدى ضواحي نيويورك.

أعطيت سائق التاكسي حسابه .. وحين مضى .. دخلت إلى الفيلا وأمسكت بسلسلة المفاتيح الخاصة بهال جونسون وأخذت أجربها الواحد تلو الأخر حتى فتح أحدها أخيرًا باب الفيلا .. وفي الداخل .. كانت الفيلا بنفس درجة فخامة شقة هال جونسون في حي منهاتن .. بل ربما كانت اكثر فخامة .. في هذه الفيلا أيضًا لم تكن هناك مواد كثيرة للقراءة .. ولكني حين فتحت الخزائن .. لم أجد هذه التشكيلة المتنوعة من الثياب بل كان هناك عدد محدود من الثياب مقارنة بشقة منهاتن.

هذه المرة كانت هناك أوراق .. أوراق مدرسته وأوراقه في كلية الشرطة وغيرها من الأوراق .. وهناك أوراق .. لم أجدها بسرعة .. ولكني لاحظت درجًا صغيرًا في قاع إحدى خزائن الثياب بحيث يكون مختبئًا ولا يمكن ايجاده إلا عن طريق تفتيش دقيق. كان الدرج مغلقًا بالمفتاح وحين جربت سلسلة مفاتيح هال جونسون فتح أحدها ذلك الدرج.

تخيل ماذا وجدت في هذا الدرج. عشرات من بطاقات الائتمان. تحمل بعضها صور هال جونسون واسمه ..ولكن يوجد منها ما يحمل صور هال جونسون وقد غير قصة شعره وهناك بطاقات ائتمان مقيدة بأسماء أخرى .. ألونزو جونزاليس .. جيرالد ساندلسون .. وذلك الاسم الذي استأجر به هذا البيت ريتشارد هاتلي. كما كانت هناك العيد من البطاقات بلا صور تحمل أسماء هال جونسون وغيره .. حتى الكارت الذهبي الذي لا يحمله سوى المليونيرات .. يحتفظ هال جونسون بعدد منه وبأسماء مختلفة. إن هذه البطاقات تعني أن هال جونسون مليونير على الأقل.

وفتحت حافظة هال جونسون التي سُلمت لي في المستشفى لم تكن بها سوى أربع بطاقات ائتمان عادية. إذن فهو يخفي بطاقات الائتمان الأخرى. كانت بطاقات الائتمان الموجودة في الدرج صادرة من مختلف بنوك العالم، فهناك بنوك في هونج كونج واليابان وفرنسا والبهاما وحسابات في بنوك سويسرية .. حتى بنوك الهند أصدرت لهال جونسون بطاقات ائتمان بأسماء أخرى مستعارة.

ترى هل هال جونسون هذا عضو بالبوليس الدولي.. لم لعله عضو بالمخابرات المركزية الأمريكية .. مما جعله محتاجًا إلى انتحال شخصيات مختلفة، والتعامل مع البنوك بأسماء مختلفة، ولكن عملاً كهذا يحتاج إلى أن يترك المرء مكان عمله لفترات طويلة وأن يسافر خارج البلاد .. مما لا يتفق مع طبيعة عمل الشرطي .. لعله يتابع بعض العصابات من خلال عمله كشرطي ويتنكر ليتمكن من متابعتهم ولكن هال جونسون كان مشهورًا جدًا داخل أمريكا إلى حد يجعل اختراقه لتلك العصابات مستحيلاً.

دارت رأسي وأحسست بالصداع يكاد يفجرها. ما هو حل هذه اللغز؟ ولكني حين فكرت بتمعن استبشرت خيرًا.. فمهما كنت طبيعة عمل هال جونسون، فإن حياة كهذه التي يعيشها سوف تعجل برصاصة تحقق لي الخلاص من هذا الجسد والعودة إلى بيت أسرتي بالقاهرة، وكلما كان الأمر أسرع كان أفضل.

واكتشفت الكارثة

كنت أجلس على طرف الفراش في غرفة هال جونسون بعد أن قمت بالتفتيش حين انتفضت فجأة .. لقد حدث شيء غير متوقع. لقد رن جرس التليفون. نعم. كان هناك تليفون في تلك الفيلا ورن الجرس .. وفكرت .. هل أرد على التليفون أم لعله من الأصوب ألا أرد. لقد أجر هال جونسون تلك الفيلا تحت اسم مستعار .. ولعله لم يكن يريد أن يعرف أحد بتأجيره لها. توقف التليفون عن الرنين .. ومرت برهة .. ثم بدأ يرن من جديد .. وتناولت سماعة التليفون عازمًا على ألا أرد ولكن استمع فقط .. وسمعت صوتًا يقول: "أهذا أنت يا هال؟"

وأجبت: "نعم. أنا هال جونسون."

وقال المتصل: "حمدًا لله على سلامتك يارجل. لقد أخبرني مايلز بما ألم بك. اسمع. إن جيم الكبير يعتذر عما فعله بك هاري المجنون. لقد أمره أن يضربك بخفة بحيث يحدث بك جرحًا صغيرًا نستطيع معه أن نلفت النظر إليك من جديد ونقوم بحملات إعلانية في صالحك ترفع أسهمك في مقابل تلك البقرة التي جعلوها رئيسة لك. ولكن هاري تمادى في تنفيذ أوامره. أنت تعرف أنه فاقد العقل .. لم نكن نتصور أن يضربك بكل تلك القوة. إن جيم الكبير حزين جدًا لما أصابك وهو يبلغك أسفه العميق ويأمل ألا تؤثر الجراح التي أصابتك على خطة سير العملية الكبيرة التي خططنا لها."

وسكت الرجل برهة ثم قال: "هال .. هال .. لماذا لا تجيب؟"

لم أصدق أذني. إذن فقد كانت عملية اغتيال هال جونسون مدبرة من أصدقاء له.

وسمعت صوت الرجل يقول: "هال. ألا تجيب؟"

وقررت أن أجاريه لعلني أعرف أكثر فقلت: "معذرة يا صديقي. إنه الصداع الذي أصابني بعد الضربة التي تعرضت لها .. وجعل كل ردود فعلي بطيئة وحتى كلامي .. وقدرتي على التفكير."

وتنفست بتثاقل متعمدًا في السماعة وأنا أقول: "قل لجيم الكبير ألا يقلق، فأنا أفهم أنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بأفعال شخص مختل كهاري .. ولكني لا أظن أنني سأستطيع أن أقوم بالعملية الكبيرة التي خططنا لها."

وسمعت صوت محدثي يقول بقلق وبلهجة متسرعة: "لماذا يا هال؟ كل ما عليك أن تفعله أن تظهر في الصورة فقط أثناء عملية القبض .. سيقوم مايلز والأخرون بكل شيء."

وكانت فرصتي لأعرف ماذا يحدث فقلت لمحدثي بتثاقل: "علي أن أراجع تفاصيل العملية الكبيرة مع شخص ما مرة أخرى، فالتفاصيل لم تعد مثبتة في ذاكرتي كما كانت. أرسل إلي مايلز."

قلت هذه الكلمة كما لو كنت أنا الرئيس ومع ذلك كنت خائفًا من رد فعل محدثي الذي توقف برهة عن الكلام، ويبدو أنه كان يغطي السماعة بيده وهو يتحدث إلى شخص أخر، ثم عاد الصوت إليّ مرة أخرى وهو يقول: "حسنًا يا هال. كما تريد. استرح الآن، وسأبحث أنا عن مايلز .. وأرسله إليك."

وضعت السماعة في مكانها ونمت على الفراش وأنا أحملق في السقف. لقد جعلتني هذه المكالمة التليفونية أكثر حيرة مما

كنت. لا أظن أن شخصًا مسئولاً في الشرطة أو المخابرات يمُكن أن يُسمى بجيم الكبير، وبالتأكيد فلا يمكن لأي جهاز أمني أن يستخدم شخصًا لا يمكن التنبؤ بأفعاله كهاري المجنون .. هذه المحادثة هي أقرب ما تكون إلى حديث رجال العصابات. لقد تأمروا على تلك الشرطية الضخمة .. وأستهدفوا أن يُحدثوا بهال جونسون جراحًا تجدد صورته وترفع من أسهمه كبطل .. لماذا؟ لماذا؟

قمت من على الفراش وأخذت أبحث في الخزائن. ربما كان بحثي هذا مجرد محاولة للهروب من الأفكار التي تتصارع في رأسي ولا أجد لها مخرجًا .. المهم استأنفت البحث في الخزائن وسرعان ما كان كل شيء في حجرة النوم مكومًا على الأرض. تسلقت إلى أعلى خزانة الثياب حيث كان يوجد رف مرتفع، وكانت عليه كمية من ربطات العنق والجوارب .. وأشياء أخرى .. وألقيت كل ما كان على الرف على الأرض .. ولم أجد شيئًا.

ولكني حين عمدت إلى فحص الرف وجدته شيئًا غريبًا. كان رفًا كبيرًا طوله يزيد عن المترين وعرضه يزيد عن المتر ونصف المتر وبدا وكأنه قد حفر له داخل الحائط حتى يتم تثبيته بشكل كامل. لم يكن من الممكن أن تغطيه كل الأشياء الموجودة فوقه. أما ما استوقفني حقًا فكان سُمك ذلك الرف الذي زاد عن الستين سنتيمترًا .. ومددت يد هال جونسون الطويلة أتحسس أي بروز في جانب الرف أو على سطحه. لم يكن هناك بروز .. بهذه الطريقة سأضطر إلى تحطيم الرف ..

ولكني في النهاية وجدت بروزًا صغيرًا في طرف الحائط الذي يعلو الرف .. ضغطت عليه فلم يحدث شيء ثم ضغطت عليه بقوة أكبر .. فوجدت الرف يتحرك بحيث انقسم إلى قسمين من

منتصفه .. وتحرك نصفه الأسفل لمسافة سم عن النصف الأعلى. كان يعمل كما لو كان درجًا كبيرًا مثبتًا في الحائط.

وماذا وجدت في الدرج. حدث ولا حرج. كم كبير جدًا من الأوراق المالية بمختلف العملات وإن كان يغلب عليها اللون الأخضر .. الدولار الأمريكي وبكميات هائلة. أحسست أنني قد فتحت مغارة علي بابا. وجلست على الأرض وأنا أشعر بالرغبة في البكاء .. أنا لم أعد أفهم أي شيء في هذا العالم. من كان المرحوم هال جونسون بالضبط؟ وفكرت لأنظر مرة أخرى في أوراق هال التعس وفي محفظته .. لعلي أجد ما يرشدني إلى هويته .. كان بالمحفظة خمسمائة دولار وأربع بطاقات ائتمان عادية، وأخذت أنظر إلى أوراقه بتمعن. وقفزت من مكاني فجأة وقد بدا لي كل شيء بوضوح تام. لقد كان هال جونسون يعمل في قسم مكافحة المخدرات.

وذهبت إلى المطبخ أعد فنجان قهوة أخر. ذكروني أن أشتري شايًا. وكنت أفكر أثناء قيامي بصنع القهوة .. المحادثة التليفونية عن جيم الكبير وهاري المجنون .. وصوت مايلز وهو يغمز بعينه ويقول: "كي تؤدي عملك" وتهديد الجبل الأسود جيريمي تانت لي "حين ترفع عنك الحماية، سأعرف كيف أقتص منك." لم تكن حماية رداء الشرطة، بل كانت حماية تجار المخدرات.

إن هال جونسون الشرطي الشهير الجميل الرشيق لم يكن بطلاً في فرقة أمنية أو عضوًا في المخابرات، بل كان ببساطة تاجر مخدرات. وكل تلك الأموال والأسماء المستعارة وبطاقات الائتمان هي وسائل لاخفاء أرباحه من تلك التجارة المميتة. لا يوجد تفسير أخر. وأحسست بالحسرة بطعم العلقم في فمي. ماذا كان ينقصه؟ بكم يكتفي الإنسان؟ كم يكفيه؟ ما الذي يكفيه؟

كانت السوداوية تعربد في صدري حين سمعت صوت جرس الباب وأسرعت إلى غرفة النوم أغلق بابها، وذهبت أفتح باب الفيلا. وأمام الباب وجدت الفتى الأشقر القصير مايلز .. يتراقص. أظن أنه هذه هي طريقته في المشي. إنه يمشي بزهو ... زهو تجار المخدرات .. يا إبن الـ .. أنا لم أرتح لذلك الديك الشركسي منذ اللحظة الأولى .. إنه يظن أنه بارع وخفيف الدم .. ولم ينتظر حتى آذن له بالدخول .. بل دخل بخطواته المتراقصة إلى داخل البيت وهو يفتح الأنوار في طريقه وكأنه بيت أبيه.

دخل مايلز البيت وهو يتحدث وقد أعطاني ظهره وأنا أسير خلفه .. كان يقول: "ماذا قلت لبراون. إنه يظن أنك لا تتذكره."

ورددت: "لقد قلت له الحقيقة. إن الضربة التي تلقيتها من هاري لم تذهب ببعض دمائي فقط، ولكن يبدو أنها أسقطت بعض المعلومات من عقلي كذلك، ولكن هذا الأحمق يشك في أمه ذاتها لو أنها أتت بتصرف لم يكن يتوقعه. كل ما قلته له أنني لا أذكر تفاصيل العملية الكبيرة التي خططنا لها وأن الكثير من المعلومات أصبحت ضبابية داخل عقلي، ولهذا فقد طلبت ارجائها."

ورفع مايلز عينيه إلى وجهي في جدية وهو يقول: "ولكن يا هال، أنت تعرف أن هذا مستحيل. لقد قضينا على معظم التجار المنافسين لنا والسوق في هذه اللحظة خالٍ نسبيًا من المخدرات، وبالتالي فإن ثمنها مرتفع جدًا. ولو لم نستغل هذه الفرصة، فسوف يستغلها غيرنا، وعندها ربما يصبحون أقوى منا على المدى البعيد. إننا رجال أعمال، والتوقيت مهم جدًا في عملنا هذا. إذا كنت متعبًا فكل ما عليك أن تفعله أن تتواجد في المكان أثناء عملية الضبط، وسوف نقوم أنا والرجال بالباقي.

أما إذا كان هناك شيء قد نسيته، فكل ما عليك أن تفعله أن تسألني وسوف أخبرك أنا بكل التفاصيل. إننا أصدقاء منذ وقت طويل، وقد دافعت عني كثيرًا، وهذه هي فرصتي لأرد لك الجميل."

وفكرت أن ذلك الشرطي أحمق بلا شك، ولكن من الصعب جدًا أن تشك في شخص ما إذا كان مظهره لم يتغير، فلا يمكن أن يقتنع المرء أن صديقه قد تحول إلى شخص أخر .. فشكل المرء يغلب على فعله، على الأقل في البداية.

وقلت لمايلز:. في الواقع أنا لا أتذكر تفاصيل العملية الكبيرة التي ننوي القيام بها .. وكنت آمل أن تعيد شرحها لي.

لم يرد مايلز .. بل اتجه إلى المطبخ بخطواته المتراقصة: "إنني أحس بالعطش الشديد .. ماذا يوجد لديك هنا في الثلاجة؟" .. وعاد مايلز بعد دقائق وفي يديه ثلاث زجاجات من الخمر وكأسين .. يبدو أنها ستكون ليلة طويلة .. صب مايلز بعض الخمر في كأس أعطاها لي .. ثم صب لنفسه بعضها في كأسه .. ورفع كأسه وضربها في كأسي وهو يقول: "تشيرز .. في صحتك" ..

وحين وجدني أضع الكأس على المنضدة .. في الواقع أنا أكره حتى رائحة الخمر .. قال: "لقد تغيرت كثيرًا يا هال .. لماذا لا تشرب؟"

وصرخت فيه: "كل ما تحتاجه هو أن تحس بإحدى نوبات الصداع التي أعاني منها بعد شرب الخمر حتى تعرف كم تغيرت .. إنني ممنوع تمامًا من الشراب حسب أوامر الأطباء .. وذلك حتى تختفي التغيرات التي ألمت بي" .. وأردفت بخشونة:

"وعليك أنت أيضًا أن تكف عن الشراب إن كنت ستشرح لي أي شيء."

وضحك مايلز بطريقة توحي بالإعتذار وهو يقول: "هال. إنك تعرف أني لا أسكر أبدًا. مهما شربت."

وسرعان ما قام مايلز بفرش خريطة كبيرة لنيويورك على منضدة الطعام الكبرى في بيت هال .. وضع علامة بقلم رصاص على جزء ما من الخريطة وقال: "سنتبع الخطة المعتادة .. قد جاءتنا إخبارية منذ أسبوع أنه ستتم عملية تهريب مخدرات كبرى لجماعة منافسة في هذه المنطقة .. سنعلم رجال الصحافة من أصدقاءك مسبقًا .. عن اعتزامنا القبض عليهم .. وفي لحظة الصفر .. سوف يجتمعون لتصويرنا .. وسوف نخرج بسياراتنا من هناك .. وأشار إلى مكان في شرق الخريطة .. ونتجه إلى الشمال على الطريق السريع .. وسوف تكون طائرات الصحافة وسياراتها ملازمة لنا .. وستكون لديهم أوامر بألا يقوموا بالتصوير أو إذاعة النبأ حتى لحظة القبض على هؤلاء المغفلين" ..

وأردف مايلز: "سنقوم بالتحرك بالسيارات لفترة طويلة والصحافة تصورنا من الأرض ومن السماء كذلك لكي نحقق نصرًا إعلاميًا .. وسنطبق على ذلك الأحمق والاس وعصابته من ناحيتين عند بيت في هذه المنطقة .. حيث تقرر أن تحدث عملية التسليم .. بالطبع ستكون هناك مجموعة تراقب البيت منذ البداية .. ولكن المهم هو تركيز اهتمام الصحافة ورجال مكافحة المخدرات في نيويورك على هذه العملية طوال فترة ساعتين أو ثلاث .."

وأردف مايلز: "كل ما عليك أن تفعله هو الاتصال بأصدقاءك من الصحفيين .. وتجمع أكبر عدد من رجال الشرطة لمطاردة المجرمين وتأمين ذلك الطريق .. حتى يكون الاهتمام مُركزًا على تلك المنطقة .. سيهتم الكثير من الصحفيين بالأمر لمجرد مشاركتك انت في العملية فالعديدون يرغبون في نقل صورتك وأنت تؤدي عملك بعد أن تم الاعلان عن إصابتك .. في الواقع لقد سربت رئيستنا المزعومة خبرًا للصحافة أنك كنت تتمارض وأن مرضك كان حيلة دعائية .. ولكن بعد التغيرات الجديدة أعتقد ان الأمور ستعود إلى نصابها .. ستواجه هجومًا عليك في الأيام القادمة ولكننا سنعدل الوضع سريعًا" ..

وأردف مايلز وهو يبتسم ابتسامة الانتصار: "أما هنا" ..ووضع علامة أخرى على جنوب الخريطة .. "فسوف تحدث عمليتنا الكبيرة .. سنبادل الأموال بكميات هائلة من المخدرات .. تقدر قيمتها بملايين الدولارات .. والمطلوب ألا يتواجد شرطي واحد من فريق مكافحة المخدرات داخل المدينة حول تلك النقطة .. سوف نطلب فرق تعزيز من أجل عملية الضبط التي سنقوم بها .. وبالتالي ستكون هذه المنطقة" .. وأشار إلى المنطقة التي ستحدث فيها العملية الثانية .. "خالية من رجال مكافحة المخدرات .. وبالتالي فلن يواجه رجال جيم الكبير أي خطر ... اللهم إلا دوريات الشرطة الراكبة التي تتفوق استعداداتنا عليها بشكل كبير .. وهذه لن تكون مشكلة... فقد أعد جيم الكبير كل شيء" .. صب مايلز لنفسه كأسه الرابع وهو يقول: .. "وبهذه الطريقة نضرب عصفورين بحجر واحد .. فسوف نقضي على إحدى العصابات المنافسة لنا في تجارة المخدرات .. وسوف نلفت الانتباه عنا حتى تمر تجارتنا في سلام .. إن جيم الكبير رجل ذكي .. أليس كذلك؟"

وقال مايلز وقد لمعت في عينيه ابتسامة: "وبالطبع لن تنسى صديقك القديم مايلز حين نقبض على المهربين .. سأقف إلى جوارك حتى تظهر صوري معك في أجهزة الإعلام."

اختفى صداعي وتوثبت حواسي كلها لمايلز الذي بدأ يضحك بكثرة .. وظهرت عليه آثار الخمر .. لابد أن احصل على المزيد من المعلومات .. وبدأت أضاحكه وأنا أقول .. سأتي لك بشيء أخر تشربه .. فإنك كالبحر لا تتأثر مهما ألقي فيك من مشروبات ..

وتحدثت من المطبخ وأنا أرفع صوتي: "إن جيم الكبير رجل ذكي .. ولكن ذكائه قد خانه حين استعمل هاري في الحادثة التي دبرها لي."

ورد مايلز: "بالعكس .. فقد كانت هذه هي إحدى أفضل حيل جيم الكبير .. فإن هاري المجنون سهل الإفلات .. كما أنه لو قبض عليه، فلن يشتبه أحد أن وراءه شخصًا أخر .. لأنه معتوه كما تعلم .. ولكن، أنت على حق، إن مشاكل هاري قد أصبحت تزيد عن فائدته مؤخرًا .. إن جيم يدخره لعمليه واحدة .. عملية أخرى فقط .. وبعدها يعثرون على جثته طافية على سطح النهر .. وقد غاصت فيها عدة رصاصات."

قال مايلز هذا وهو يضحك .. وأحسست بالقرف العميق .. إنه يبدو ناعمًا كالفتيات .. ولكن الحقيقة أن به قسوة غير عادية .. سيجدون جثة هاري في النهر وقد غاصت فيها عدة رصاصات .. والأحمق يضحك .. لا يفكر في أنها في المستقبل قد تكون جثته هو وبها عدة رصاصات .. وأخذت أصب الخمر لمايلز .. وهو يشرب .. وبعد فترة سألته: ".. مايلز .. ما اسم الزعيمة؟"

ورد مايلز: "أي زعيم .. هتلر .. هاهاها."

وقلت: "كلا، بل أعني المرأة التي ترأسنا في العمل."

ورد مايلز: "نادين ماجواير!! .. لا تقل أنك قد نسيت اسمها." قالها وهو يضحك

وسألته: "هل تعرف أين تقيم؟"

ورد مايلز: "بالطبع، وأنت أيضًا تعرف أين تقيم، أم لعلك قد نسيت."

وأجبت باستهزاء: "لعلها قد غيرت عنوانها .."

وقلت لمايلز والذي كان قد بدأ يحملق في قاع كأسه: "لن أخجل منك. نعم، لقد نسيت عنوانها. لا ادري ماذا جرى لي. أرجوك اكتب لي عنوانها. ونبش مايلز عدة كلمات بشكل أوتوماتيكي، ودعوت الله ألا يكون قد كتب لي عنوانه هو .. تحت تأثير ما يشربه. وخطر لي خاطر، فقلت له: "أكتب لي عنوانك أيضًا."

وسرعان ما كتب مايلز كلمات أخرى تحت العنوان الأول وأعطاني الورقة وهو لا يزال يضحك، ويقول: "ما بالك يا هال. هل نسيت جميع العناوين؟"

وأيقنت أنه لم يعد يدري بم يتحدث .. فعلى الرغم من تأكيده بأنه لا يسكر أبدًا إلا أن الخمر قد أفقدته كل قدرة على الحكم السليم وقلت: "بالطبع لم أنسها .. مايلز . انتبه إلي .. أين ستكون نادين ماجواير حين نقوم نحن بالعملية الكبيرة؟"

ورد مايلز وهو لا يزال يضحك: "سنتخلص منها طبعًا قبل العملية .. لقد ابتكر جيم الحادثة التي أصابتك حتى ترتفع أسهمك عن أسهمها ثم نتخلص منها، فيعهدوا إليك بوظيفتها. لقد دبر لها جيم حادث سيارة." واستمر الأحمق يضحك

قلت وأنا أضغط على أسناني حتى لا أمزقه من الغيظ: "ومتى سيتم التخلص منها؟"

ورد مايلز باستخفاف: "لماذا؟ .. في وقت ما .. قبل العملية الكبيرة .. لا أعرف متى بالضبط."

قلت وأنا أصر على أسناني من فرط غبائه: "ومتى تكون العملية الكبيرة؟"

ورد مايلز وهو يترنح: "بعد غدًا صباحًا طبعًا."

أي أنهم ببساطة سيقتلونها إما الليلة وإما غدًا .. أخبار مطمئنة جدًا.

كان مايلز قد بدأ يغوص في مقعده .. وبدت عليه علامات النوم حين فعلت ما كنت اتمنى أن أفعله منذ البداية في قرارة نفسي .. حتى دون أن يكون هناك سبب لذلك .. ملأت البانيو الضخم في حمام هال جونسون بالماء البارد .. ثم حملت مايلز حملاً وأنا أجره من قفاه من ياقة قميصه .. وألقيت به في البانيو بكامل ملابسه.

وقام مايلز وهو يصرخ ويشتمني .. فألقيته مرة أخرى في البانيو وثالثة ورابعة .. حين انتهى من الشتم .. وجد أمامه

ثلاثة أكواب قهوة كاملة .. ونظرت له بغيظ وقلت له: "إشرب."

وزمجر مايلز وغمغم بكلمات لم أفهمها .. ولكني أمسكت به من ياقته وطوحت به ثم ألقيته على المقعد أمام أكواب القهوة وقلت له: "اشرب، وإذا لم تفق بعد كل هذه القهوة، فسوف أبحث عن وسائل أخرى لافاقتك."

وهدأ مايلز أو تظاهر بالهدوء وأشار بيده لي لأتوقف وأنه لا داعي لذلك .. ثم بدأ يشرب أكواب القهوة .. وإن كان يبدو ممتعضًا من اضطراره لشربها .. وفي خلال ربع ساعة كان جالسًا ينظر إلي بدهشة كبيرة ..

وكنت أقول بغضب: "لقد أصبح جيم الكبير يرتكب العديد من الأخطاء .. كما ظهر في حادثة هاري المجنون .. لا يمكن للمرء في عمل كعملنا أن يعرض نفسه للمسائلة أو أن يخلق وضعًا مريبًا لا يبدو طبيعيًا .. لا يجب أن تُقتل تلك الشرطية."

وسأل مايلز: "أي شرطية!!"

وأجبته: "نادين ماجواير طبعًا. ألم تقل لي أن رئيستنا في العمل إسمها نادين ماجواير؟"

وحملق في مايلز وقد أفاق وقال لي: "طبعًا ولكنك كنت متحمسًا جدًا لقتلها لدرجة أن جيم قد استطاع بصعوبة أن يثنيك عن قرار قتلها بنفسك."

وأجبته: "إذا، فحمدًا لله أن ذلك الحادث قد حدث لي. من الواضح أنني كنت متهورًا ولكنني الآن أصبحت أكثر تعقلاً."

ورد مايلز: "لماذا .. لقد قتلنا سبنسر منذ شهرين فقط .. وكان رئيسنا .. واعتبرت الجريمة إحدى جرائم العنف العشوائي المنتشرة في نيويورك .. وقيُدت ضد مجهول."

إن هؤلاء الناس مجانين بكل تأكيد .. إنهم يقتلون الناس كالذباب ..

ورددت بغضب وأنا أحس أنني أريد أن أصفع مايلز لأضع بعض العقل في رأسه: "هذا ما كنت أعنيه .. رئيسان يقتلان خلال شهرين .. لا يمكن لأحد إلا أحمق مثلك أو مثل جيم الكبير أن يصدق أن هذه مصادفة."

ونظر مايلز باندهاش: "يبدو أن الحادثة التي قد تعرضت لها قد أودت بعقلك .. إنك لم تكن هكذا يا هال .. لقد كنت موافقًا على قتلها .. بل كنت متحمسًا لذلك .. لقد .. لقد كنت تريد قتلها بنفسك، كما كنت تتعامل مع كل الأمور بطبيعة سهلة .. إنك الآن لم تعد مسترخيًا كما كنت .. أصبحت مشدودًا كوتر وأصبحت تقلق من كل شيء .. استرخ يا رجل."

ورددت وأنا أضرب المائدة بقبضة يدي ضربة أطارت الأكواب الزجاجية وجعلت مايلز يقفز من الفزع .. وأنا أدعو الله في سري أن يكون تمثيلي مقنعًا.

وصرخت في مايلز: "وكيف لي أن أسترخي وأنا أعمل مع مجموعة من الفاشلين. ماذا سيكون موقفنا لو اشتبهت أي من الهيئات الأمنية الكثيرة الموجودة في أمريكا في وجود مؤامرة وراء مقتل الشرطية، وعززوا التواجد الأمني في نيويورك دون علمنا .. وأدى ذلك إلى اكتشاف العملية الكبيرة .. إن العملية الكبيرة أهم من أي شيء أخر. لا يجب ان تموت الشرطية قبل

العملية .. يبدو أن جيم قد جنُ. لقد أصبح يخاطر كثيرًا، وهو لا يخاطر بحياته ومستقبله، بل بحياتنا نحن ومستقبلنا. لسنا جرذان تابعة تقفز كلما أصدر جيم اشارة لنا .. نحن رجال وجيم الكبير لا يستطيع العمل بدوننا .. لقد أصبحت أكثر تعقلاً بعد الحادثة التي أصابتني .. والتي تسبب فيها جيم الكبير بتهوره .. وعلى جيم أن يستمع لي .. عليك أن تذهب لبراون في هذه اللحظة وتقول له ان الشرطية يجب أن تعيش وأن عملية اغتيالها لابد أن تؤجل إلى ما بعد العملية الكبيرة .. أما أنا فسأذهب لمحادثتها .. سأخبرها بالاخبارية عن المخدرات التي يتم تبادلها في شمال المدينة وأقنعها بالمشاركة في عملية الضبط .. وبهذا ستكون معنا حين يقوم رجالنا بعملهم."

ورد مايلز بتردد: "إنها لن تستمع لك."

وقلت: "بل ستستمع. اترك هذا الأمر لي .. هيا تحرك .. ماذا تنتظر .. تذكر أن تقول لبراون أن هذا هو رأيك أيضًا."

ويبدو أن مايلز كانت لديه حسابات أخرى وقد أتجه تفكيره إلى مسائل أخرى، فقد رد علي بقوله: "أنت على حق يا هال. لقد سأمت من اتباع تعليمات جيم، والمشاكل التي يوقعنا فيها برعونته .. إننا نقوم بكل العمل، وهو يحصل على معظم المكاسب .. يجب أن نشارك في عملية التخطيط، ويتبعها أيضًا أنه يجب أن يزيد من حصتنا في الأرباح. سأسرع بالذهاب لأحدث براون."

المؤامرة

نزلت من البيت بعد مايلز وأشرت لسيارة التاكسي وأخبرته بالعنوان الذي كتبه لي مايلز، وسرعان ما وجدت نفسي أمام

إحدى الكبائن المُطلة على البحر .. والتي ترتفع عن البحر بأعمدة خشبية .. كان بيت الفتاة معزولاً نسبيًا .. وكان منزلها الوحيد المُضاء ضمن صف من المنازل إلى جواره قدرت أنا أنها ربما كانت مهجورة .. الفتاة كانت تعيش في بيت معزول والمنطقة تبدو خطرة للغاية لدرجة أنني أحسست بالقلق من زيارتي لها ليلاً .. ولكن لم يكن هناك وقت. ستحدث العملية بعد غد صباحًا وهذا معناه أن الوقت المتاح لي لأخبرها وأحصل على تعاونها معي هو الليلة واليوم التالي والذي قد يكون علي أن أقوم بأعمال أخرى فيه فأنا لن أسمح بأن تمر تلك العملية الكبيرة ويتم تبادل المخدرات بالمال بينما أنا أشارك في مساعدة تجار المخدرات على إنجاحها وصرف نظر الشرطة عنها. لم أكن أعرف ماذا أفعل ولكنني قدرت أن نادين ماجواير لابد وأنها تعرف ما يمكن فعله في مثل تلك الظروف التي سأخبرها بها.

حين وصلت إلى البيت. رفع شخص يده لي من بعيد. خيُل إلي أنها تحية .. ربما كان أحد الأوغاد اللذين يراقبونها، وأشرت له بيدي .. وسرعان ما صعدت درجات السلم الخشبية الثلاثة الموجودة أمام بلكونة خشبية إلى بيتها.

لقد أشار مايلز إلى أن هناك أخرون يعملون لحساب جيم الكبير ضمن فريق مكافحة المخدرات، وبهذا فلا يمكنني أن أثق بأحد .. لا أظن أن جيم الكبير يستطيع أن يشتري جميع أفراد شرطة مكافحة المخدرات في نيويورك، وبالتأكيد هناك رجال شرطة شرفاء لا يمكن شراؤهم ولو دفع تجار المخدرات مال العالم كله، وهم بالتأكيد الأغلبية بين رجال الشرطة، ولكن المشكلة أنني لا أعرف من من رجال الشرطة الشريف ومن منهم الذي يتعاون مع تجار المخدرات .. هناك شخص واحد تدبر له العصابة المؤامرات وتسعى لقتله .. وهذا الشخص هو نادين

ماجواير رئيسة هال.. وبهذا فهي الوحيدة التي يمكنني ان أثق بها لأنها بالتأكيد ليست من العصابة.

طبعًا ما استنتجته من حديث مايلز هو ما قد يستنتجه أي شخص أخر .. لقد قتلت العصابة سبنسر رئيس هال جونسون منذ شهرين .. لسبب ما .. وتم تعيين هذه المرأة/ نادين ماجواير لتخلف سبنسر .. ومع الروتين المعتاد .. ربما كانت هذه المرأة/ نادين ماجواير قد عملت رئيسة لهال جونسون لمدة شهر واحد فقط أو أكثر قليلاً، وبالتالي فالعصابة لا تعرفها، ولا هي تعرف العصابة، ومنذ البداية بدأت العصابة تنظر لها بريبة .. ربما لأنها غير متوافقة مع هال جونسون .. وقد تعيق مجهوداته في خدمة العصابة .. ومنذ البداية بدأت العصابة تخطط لقتلها.

صعدت السلالم ووجدت الباب مفتوحًا .. في الأحوال العادية لم أكن لأدخل البيت بلا استئذان أبدًا، ولكني خفت أن تكون إشارة ذلك الرجل لي معناه أنهم قد تخلصوا من الفتاة .. ولهذا دخلت بسرعة .. وأنا أنادي: "هل يوجد هنا أحد؟ .. نادين .. نادي..." لم أكمل كلمتي فقد أحسست بحركة من خلفي .. وحين أستدرت لم أر شيئًا .. اللهم إلا شيء أسود ثقيل .. لم أتبين ماهيته .. في نور الصالة الخافت .. هوى هذا الشيء على مؤخرة رأسي .. إن كثرة الضربات في الرأس تؤلم بالتأكيد .. أظلمت الدنيا في عيني وغبت عن الوعي ..

أفقت بعد فترة قدرت أنها دقائق .. لأجد نفسي جالسًا على الأرض .. مبللاً بالماء ومربوطًا بالحبال .. وأنا أحس بأن رأسي عبارة عن غلاف مثقوب وبداخله شيء ما يتحرك يمنة ويسرة. أعني أن هذا الشيء يتحرك داخل دماغي. وبعد عدة ثوانٍ ... تبينت أن سبب الظلام النسبي في الغرفة هو أن هناك

ظل ضخم يقع علي .. كانت الفتاة تبدو أضخم مما ظهرت عليه في المرة الأولى .. إن كان هذا ممكنًا .. كانت واقفة وقد انحنت نحوي قليلاً وهي تمسك بيدها مضرب بيسبول كبير .. وأخذت تلوح به وتحركه على حافة يدها البدينة في حركة تهديد واضحة .. وعندما وجدتني مازلت أحملق بها .. افترضت المعتوهة أني لم أفق بشكل كامل بعد، ولهذا رفعت دلواً مملوءًا بالماء .. وصبته فوق أم رأسي .. هكذا ببساطة. صرخت قائلاً: "ماذا تفعلين؟"

قالت وقد بدت على وجهها تلك الابتسامة الشريرة: "لقد جئت وأنت تظن أنك ستباغتني وتفعل بي ما فعلته في المرة السابقة .. ولكني في هذه المرة كنت مستعدة لك .. ها .. كيف تشعر يا هال العزيز؟"

تبًا لهال جونسون وكل معارفه .. لا أعرف لم سمعت في تلك اللحظة صوت عبد الحليم حافظ يدوي في أذني: "لكن سمائك مظلمة .. وطريقك مسدود مسدود .. يا ولدي." ألم يترك هال جونسون هذا شخصًا واحدًا شريرًا أو ضخمًا في هذا العالم لم يكتسب عداوته .. لقد كان هال جونسون هذا حمارًا كبيرًا ..لقد كان يبحث عن حتفه بظلفه .. ولو لم يقتله هاري المجنون، لقتلته نادين ماجواير أو جيريمي تانت أو ربما مايلز .. أو أي شخص أخر. لقد فعل لهم جميعًا ما يجعلهم يرغبون في قتله. ومدت الفتاة يدها إلى ذقني ورفعته بحيث تنظر عيناي في عينيها وقالت بدلال: "إنك لن تغادر منزلي حيًا يا هال."

إن هذه المرأة مجنونة بلا شك .. إنهم جميعًا مجانين.

وأشارت الفتاة إلى المضرب الذي كانت تمسكه بيدها وقالت وكأنها تنتظر مناسبة سعيدة: "سأحطم رأسك بهذا المضرب

حتى يصبح قطعًا صغيرة .. ثم سأحملك إلى قاربي المربوط خارج الكابينة .. وهناك سأربط جثتك إلى هذا..." وأشارت إلى كومة من قطع الحديد التي تستخدم في تدريبات حمل الأثقال .. وأردفت الفتاة في لهجة نهائية: "وبعدها سألقيك في الماء .. ولن يعثروا على جثتك بعدها أبدًا."

لم تكن الفتاة تقول هذه الكلمات على سبيل التهديد .. بل كان واضحًا أنها تعني كل كلمة تقولها .. لا أعرف لم جف الريق في في حلقي وأحسست أن دقات قلبي تتسارع بشكل غير طبيعي .. ألا يفكر هؤلاء القوم في شيء سوى القتل؟ .. ألا توجد عقوبات أصغر كالشتم أو الضرب مثلاً .. كل من قابلتهم في ذلك اليوم كانوا يتحدثون عن القتل وكأنه وجبة لذيذة أو الخروج في نزهة ممتعة .. عمل يحبون أدائه .. وتوكلت على الله وقلت: "أنا لا أتذكر ما فعلته من قبل لأضايقك."

لم ترد الفتاة ولكن ابتسامتها المعسولة قالت كل شيء .. إنها طبعًا لا تصدقني، بل وتستمتع بشعور أنني مرعوب وخائف منها وبإحساسها بأني تحت رحمتها .. وأنا مقيد كالأرنب .. لا أستطيع حراكًا .. إن العجز لشعور فظيع.

وعلى الرغم من تأكدي من عدم تصديق الفتاة لي .. أكملت حديثي .. بالطبع لم أحدثها عن الكمبيوتر .. وعن كوني حللت محل هال جونسون في جسده .. فمن شأن ذلك الحديث أن يعجل بنهايتي وترك جيم الكبير ومايلز وأتباعهما يمرحون في الأرض، بل قلت: "لقد فقدت ذاكرتي في الحادث الذي أصابني، وحين عادت إلي الذاكرة، اكتشفت أنني تاجر مخدرات."

لم تتوقع الفتاة أن أقول شيئًا كهذا .. لقد أخذتها على حين غرة .. وفاجأتها .. وقد بدا ذلك بسرعة في تعبيرات وجهها، وأكملت

حديثي: "إنهم يراقبونك.. أعني العصابة التي أتعامل معها .. وإذا لم تكوني تصدقينني .. فكل ما عليك أن تفعليه .. هو أن تنظري من النافذة .. وهناك ستجدين سيارتين تقفان في الظلام .. وبداخل كل منهما رجل .. يمكنك تبين الرجال من سجائرهم المشتعلة."

ونظرت الفتاة لي بشك .. ولابد أنه قد خطر لها بالطبع أنني لن أتحرك من مكاني لو ذهبت للنظر وعادت، ولكنها أسرعت أولاً إلى درج داخل مكتبة بها عدد من أرفف الكتب .. وأخرجت منه مسدسًا ضخمًا .. ثم اطمأنت إلى وجود كم من الرصاص فيه .. وضعت ما خيل إلي أنها خزانة رصاص أخرى في جيبها .. ووقتها تذكرت أني لا أحمل مسدسًا .. على الرغم من وجود العديد من المسدسات في بيتي هال جونسون .. هذا جيد، فلو كنت أحمل واحدًا .. فربما كانت هذه المجنونة قد قتلتني به.

خرجت الفتاة إلى الشرفة وهي تمشي بجنبها .. وتتحرك بحيث يتقدمها المسدس الذي أطبقت عليه بكلتي يديها .. وسمعت صوت حذاءها في الاتجاه المعاكس لمكان وجود سيارات المراقبة ثم تحركت إلى مكان السيارات، وفكرت أنه ربما كانت هذه الفتاة مجنونة، وربما كانت سفاحة .. ولكنها بالتأكيد ليست حمقاء.

غابت الفتاة لمدة عشر دقائق ثم سمعت صوت حذاءها يدور بنفس الدرجة من الحذر ويعود إلى الكابينة، وحين وقفت أمامي قلت لها بسرعة قبل أن تفكر في القتل مرة أخرى: "لقد كانوا يعتزمون قتلك .. ولكني عارضت ذلك .. لقد استيقظ ضميري .. وأنا أحتاج مساعدتك."

وقالت الفتاة وفي عينيها نظرة متشككة: "كيف لي أن أعرف أنهم ليسوا رجالك وأن هذه ليست هي إحدى ألاعيبك؟"

وأجبتها: "لقد جئت إليك وأنا غير مسلح. هناك خريطة في جيبي الخلفي .. وإن كنت أظن أنها قد ابتلت بالماء .."

أخرجت الفتاة الخريطة من جيبي وفردتها بعناية على الأرض أمامي بعد أن جففتها .. الأرض .. وليست الخريطة والتي كانت مبتلة بدورها .. وقلت: "انظري إلى شمال الخريطة .. لقد وصلتنا إخبارية أن هناك عملية لتهريب المخدرات لحساب عصابة منافسة لتلك التي أعمل معها وستتم هذه العملية صباح بعد الغد."

ونظرت الفتاة إليّ نظرة طويلة تعليقًا على جملتي الاخيرة .. وكأنها لا تصدق .. أنا أيضًا لا أصدق يا عزيزتي ..

وأكملت حديثي: "تتلخص مهمتي في هذه العملية في أن أتأكد من أن جميع رجال الصحافة ومعظم رجال شرطة مكافحة المخدرات موجودون في تلك المنطقة وقت حدوث العملية" ..

ونقلت لي نظراتها رسالة واضحة: "وماذا في هذا؟"

وأكملت: "أما عند النقطة الأخرى الموجود عليها علامة على الخريطة في الجنوب .. ستتم عملية بيع كمية كبيرة من المخدرات في نفس التوقيت .. ولكن هذه العملية ستتم لحساب العصابة التي أتعامل معها .. ووقتها لن يمكن لأحد ايقاف تلك العملية .. ولن يتصدى لها في حال اكتشافها .. إلا دوريات الشرطة الراكبة .. إن أحسوا بها .. وهذه بالطبع أقل تسلحًا من العصابة التي أعمل معها وإن كانوا أكثر تنظيمًا، ولكن طبعًا لا

يوجد سبب لكي يعرف أفراد الشرطة الراكبة بتلك العملية، ناهيك عن استعدادهم لإيقافها." .. وأنهيت كلامي بقولي: "هذه هي الخطة بكاملها .. أنا لا أخدعك .. وليس هناك داعٍ لكل هذا الحذر من جانبك."

ونظرت إلي الفتاة قد غلب عليها طبعها المتشكك وقالت: "وكيف لي أن أعرف أنك صادق .. ربما كانت هذه هي إحدى خدعك."

نظرت لها بلوم وقد بدأ الألم يزحف على عيني .. وقلت: "اني صادق، وقد أخبرتك بكل شيء .. وفي حال بقائي في كابينتك لفترة أطول بعد أن خرجت وحدك إلى الخارج .. فسوف يقوم الرجال الذين يراقبونك باقتحام الكابينة وقتلك .. وإن وجدوا الخريطة بين يديك .. سنموت معًا."

وردت الفتاة بسؤال: "ومن هو حلقة الاتصال بينك وبين العصابة؟"

وأجبت: "مايلز."

وردت: "والأخرون؟"

وأجبتها: "لا أتذكر أحدًا غيره."

وقالت الفتاة وهي تبتسم: "إن هناك شيئًا في مايلز هذا لم يكن يريحني منذ البداية."

إذا فهناك شيء لا يريح في مايلز .. كنت أعلم ذلك.

وأردفت الفتاة: "إذا كان ما قلته صحيحًا يا هال، فسوف أكون أنا في انتظار المهربين في جنوب المدينة."

قلت والألم يدك رأسي دكًا .. وقد غلب علي إلى حد أني لم أعد أبصر فأغمضت عيني: "هذا أيضًا لن ينفع .. فقد وعدتهم بأن تكوني معي أثناء عملية القبض على العصابة المنافسة .. وهذا هو البديل لقتلك قبل العملية لازاحتك من الطريق كما كانوا يعتزمون .."

وصمتت الفتاة برهة وهي مطرقة .. ثم بدأت تفك قيودي .. وإن كانت قد وضعت المسدس في حزامها .. والصقت يدها بمقبضه بعد ذلك وقالت: "حسنًا يا هال. لقد أخبرتني، وسوف أحل أنا المشكلة. إن لي رجالاً في الفرقة التي انتقلت منها إلى فرقتكم. سأذهب معك أثناء القبض على العصابة المنافسة، بينما سيكون رجالي هناك في انتظار عصابتكم في ذلك المكان في جنوب نيويورك." وسكتت الفتاة برهة وكأنها تفكر في شيء ما، ثم ذهبت إلى باب البيت وفتحته ووقفت بعيدًا عنه بحيث أكون في مرمى نيران مسدسها لو قمت بأية حركة "ارحل يا هال .. فإنت تبدو لي متعبًا .. وسأقوم انا بكل شيء .. استرح أنت .. فلا شك أن الحادثة التي تعرضت لها قد أجهدتك كثيرًا."

رحلت. أغلقت الفتاة الباب ورائي وأنا لا أصدق أنني قد أفلتت. نسيت أن أستأذنها في استعمال تليفون كابينتها في استدعاء تاكسي .. لا بأس .. سأسير قليلاً إلى إحدى كبائن التليفون المنتشرة على الطريق .. انني أحتاج أن أفكر قليلاً .. والمشي يحسن من القدرة على التفكير ..

مضيت في طريقي بعد أن أشرت للرجلين الجالسين في سيارتي المراقبة، واستدعيت تاكسيًا، وأعطيته عنوان شقة مانهاتن.

في الصباح الباكر نزلت باكرًا جدًا كي أشتري أكبر الجرائد التي تصدر في مدينة نيويورك وأخذت أبحث عن شقة مفروشة، واتجهت إلى تليفون عمومي وبدأت الاتصالات. لابد لي من العثور على شقة لا يعرفها مايلز ولا جيم الكبير ولا أي شخص أخر .. يجب أن يكون لي مكان آمن .. في حالة إذا ما أرادت العصابة أن تنتقم مني ..

وكانت أفضل العروض التي تلقيتها عبارة عن بيت رخيص مؤثث بالكامل وقريب من البحر .. وتأكدت من انه لا توجد خدمات لتنظيف الشقة ..ولا بائع لبن .. ولا حتى خدمة توصيل جرائد إلى ذلك البيت .. وقد حذرتني مالكة البيت الأمينة جدًا كما هو واضح .. إلى أن البيت لم يتم تنظيفه لفترة طويلة وأنه يكاد يكون مهجورًا .. أدعيت لدى حديثي مع صاحبة الشقة أنني مؤلف .. وأحتاج إلى مكان هاديء كي يساعدني على التفكير .. وأنني قد اعتدت شراء طلباتي وتنظيف منزلي بنفسي .. ولهذا فلا داعي إطلاقًا أن تتعب نفسها بتوفير أي خدمات لي..

وتغلبت على أية شكوك للمرأة في قدرتي على دفع الإيجار بأن وعدتها بدفع إيجار البيت لستة شهور سابقة على دخولي إلى البيت .. أي ستة أشهر مقدم .. وحين سألتني المرأة عن اسمي أخبرتها بأنه ألونزو جونزاليس وأنني مشغول ولن أستطيع مقابلتها، ولهذا فعليها أن تترك المفتاح في مكان ما بجانب الفيلا وتخبرني بمكان المفتاح، وأما عن دفع الإيجار فقد حصلت على رقم حسابها البنكي، ووعدتها بإيداع المال فيه في ذلك اليوم نفسه.. فأخبرتني أنه في لحظة استلامها للمال يمكنني اعتبار نفسي مستأجرًا للبيت.

غيرت هيئتي قليلاً وارتديت نظارة وقبعة وذهبت إلى البنك مستعملاً الأوراق المزورة التي كانت موجودة في بيت هال جونسون .. وهناك حولت للمرأة المال على حسابها .. وبعد ساعتين اتصلت بها وأخبرتها بتحويل المبلغ وأخبرتني أنني سأجد المفتاح تحت المشاية الموجودة أمام باب البيت .. سألتها عن العنوان وعن وصفة أكثر دقة للمكان الذي يوجد فيه البيت .. وسرعان ما ركبت تاكسيًا وأتجهت إليه.

كان البيت عبارة عن شاليه صغير مكون من غرفتين وصالة وكان مستوى تأثيثه متواضعًا للغاية وكانت كلمة "غير نظيف" هي أقل وصف يمكن أن يوصف به ولكن هذا كله لم يكن يهمني وسرعان ما نقلت إلى تلك الشقة كل أموال هال جونسون وبطاقاته البلاستيكية .. فأنا لا أريدها أن تقع في أيدي العصابة ونقلت كذلك كل ما قد احتاج إليه من متعلقات هال جونسون وقد استلزم ذلك شراء سيارة نصف نقل مغطاة من نوع الفان. اشتريت هذه السيارة من مزاد تباع فيه السيارات المستعملة. كانت سيارة ربع عمر وكانت تخشخش وتشخشخ وتصدر مختلف الأصوات عند بداية تحركها ومقدارًا أقل من الأصوات عند حركتها.

اشتريت السيارة كذلك باسم ألونزو جونزاليس، وخلال تلك الفترة لم أذهب لبيت هال جونسون في ضواحي نيويورك إلا بعدما درت حول البيت أكثر من مرة وتأكدت من غياب الرقابة عليه .. ولم أمكث في البيت إلا بمقدار تعبئتي للأشياء التي كنت أريدها في حقائب سفر وحمل تلك الحقائب إلى سيارتي الجديدة .. بالطبع كانت قيادة السيارة والنظر إلى خريطة في نفس الوقت أمرًا متعبًا ولكني تمكنت من معالجة الامر.

في مساء ذلك اليوم ذهبت إلى بيت هال جونسون في منهاتن حتى إذا ما احتاجوني كنت موجودًا في بيتي .. أتاني مايلز وبدا لي كما لو كان متضايقًا أو متحفظًا .. لم يدخل إلى مطبخي ويتحرك بخطواته المتراقصة كما كان يفعل في المرة الأولى .. وحين سألته لم لم يعد لي في الليلة السابقة .. أجابني أنه كان متعبًا إلى درجة لم تسمح له بالعودة لي .. وقدرت أنا أن تأثير الخمر لم يكن قد انتهى بعد .. وسألته عن رأي جيم الكبير فيما قلته فأجابني أنه قد أجل قتل الشرطية إلى ما بعد العملية الكبيرة ..

أتى مايلز معه بكراسة صغيرة بها بعض أرقام التليفونات وقال أنه يتوقع أنني قد نسيت أرقام تليفونات أصدقائي من الصحفيين .. ولهذا فقد كتبهم لي في كراسة صغيرة وأن جيم الكبير يطلب مني أن أتصل بالصحفيين كي أعلمهم بموعد ومكان العملية. كان الموعد والمكان مكتوبين بحروف كبيرة في طرف الكراسة كذلك.

واجهت وقتًا عصيبًا .. وأنا أتصل بالصحفيين وأعلمهم بأني هال جونسون وأني كنت ضحية لتغيرات سمعية ولفظية كنتيجة للحادثة التي حدثت لي .. كما أن ذاكرتي قد تأثرت قليلاً بتلك الحادثة .. وقد فرح معظم الصحفيين بالخبطة الصحفية المتوقعة .. ووعدوني أنهم لن يقوموا بإذاعة السر حتى موعد اللحظة الفاصلة .. موعد القبض على العصابة .. وقد دعتني إحدى الصحفيات واسمها ساندرا آدامز لأن أخرج في الطائرة التي ستصور الحدث معها ومع فريق التصوير المصاحب لها. كان مايلز جالسًا بجواري خلال تلك المكالمات مع الصحفيين ولما اتممتها استأذن لاحساسه بالتعب وغادر منزلي. شعرت بالقلق قليلاً لأنه لم يكن ودودًا وبشوشًا كعادته قبل ذلك ولكني فكرت أن هذا ربما كان لسبب يخصه وحده.

في اليوم التالي توجهت إلى مقر الشرطة بالتاكسي بعد أن كنت قد أخذت عنوانه من مايلز .. وهناك كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق .. كان جميع رجال الشرطة يحملون بنادق ويضعون في أحزمتهم ذخيرة إضافية بالإضافة إلى المسدسات والأسلحة الاعتيادية .. وحين رأتني نادين ماجواير صرخت في بحدة: "هال .. لقد تأخرت."

وأجبتها: "لماذا؟ .. لقد قال مايلز أن الميعاد في التاسعة."

وأجابت: "نعم، ولكننا في هذه الحالة نبدأ استعدادتنا ومراجعاتنا الأخيرة للخطة على الورق قبلها بساعتين." ونظرت نادين إلى حزامي وصرخت: "لا تقل لي أنك قد أتيت بلا سلاح."

قالت الأفعى هذا الكلام أمام فريق العمل بكامله ولمحت جيريمي تانت .. ذلك الجبل الأسود .. يرمقني بنظرة غريبة .. تتضمن الريبة والدهشة في نفس الوقت. وقالت نادين: "على أي حال .. ستركب اليوم الطائرة مع تلك الصحفية .. وأنا لا أريدك أن تقوم بدور فاعل في العملية .. فلم تمر على إصابتك في الحادثة التي تعرضت لها فترة طويلة."

إذن فلماذا اللوم على التأخير والتقريع على الملأ بسبب عدم حمل السلاح إذا لم تكن تريد لي أن أقوم بدور فاعل في العملية. كانت تتعمد إهانتي واذلالي واثبات أنها هي الرئيسة. لقد ظننت أننا أنهينا حديثنا في كابينتها على النهر نهاية ودية، ولكن يبدو أنها أفعى وتتصرف كأفعى في كل الأحوال.

واستدارت نادين ماجواير وقد نسيتني أو قل تناستني تمامًا وهي تعيد اصدار أوامرها لفريق العمل الذي انتظم أمامها وكل

منهم يتمم على تسليحه. وسرعان ما وصلت طائرة هليكوبتر .. جلست فيها فتاة على قدر كبير من الجمال .. وكانت تصرفاتها عملية وسريعة وأشارت الفتاة لي أن أسرع نحو الطائرة والتي كانت بالكاد تلمس الأرض أمام مقر الشرطة ومروحتها تتحرك بسرعة تهدد بأن يطير كل شيء في نطاق تلك الطائرة .. جريت نحو الطائرة .. ثم قفزت فيها .. فقد خمنت .. ذكاءًا مني طبعًا .. أن الفتاة هي الصحفية ساندرا آدامز التي حدثتني بالأمس.

وقالت الفتاة: "أشكرك كثيرًا يا هال على كونك أدمجتني ضمن الصحفيين الذين أخبرتهم بالعملية."

وحين رأتني أنظر إلى الرجال المستعدين بالكاميرات قالت: "اطمئن. لن نقوم بتشغيل الكاميرات إلا عندما نصل إلى الموقع ووقتها سيكون البث على الهواء مباشرة .. سنتبع سيارات الشرطة من أعلى .. حتى يصلون إلى الموقع ويبدأون مباشرة عملهم." وأردفت الفتاة: "على فكرة. أشكرك لأنك لم تحضر سلاحًا معك، فإن أطلقت النهار على المهربين فقد يبادروا بإطلاق النار على طائرتنا."

كانت هناك طائرات أخرى .. وبها نفس أطقم المذيع أو المذيعة وحاملي الكاميرات، وسمعت الفتاة تقول: "وبالطبع فبعد أن يتم القبض على العصابة لن تبخل علينا كالعادة بحديث صغير .. عن كيفية معرفة رجال الشرطة بالعملية وغيرها من التفصيلات."

وهززت رأسي بعلامة الإيجاب، وأنا لا أنوي طبعًا أن أجري ذلك الحديث بعد عملية القبض على العصابة المنافسة، وأخذت أراقب من أعلى تقدم سيارات الشرطة نحو مكان التبادل .. وسرعان ما سمعت لاسلكي الشرطة الصادر من هليكوبتر

الشرطة المشرف على العملية وهو يقول: "هناك سيارة ركوب بيضاء وسيارة فان زرقاء تتقدمان نحو المنزل .. يبدو أن لحظة التسليم قد حانت."

وفي دقائق معدودة كانت العشرات من سيارات شرطة مكافحة المخدرات تحاصر المهربين وأطلقت عدة طلقات من مسدسات رجال الشرطة وكان واضحًا أن رجال العصابة مختبئين داخل المنزل وأنهم لا يعتزمون الخروج رافعين أيديهم كما أمرهم ميكروفون الشرطة .. وبدأ الطاقم الجالس في الطائرة يصور الحادث بكاميراته ..

وسألت الصحفية: "هل تبحثين عن خبطة صحفية أكبر. هناك عملية تهريب لا يعرف بها أحد ستتم في هذه اللحظة وفي هذه المنطقة." .. وأشرت إلى خريطة كنت قد اشتريتها كبديل للخريطة التي تركتها في بيت نادين ماجواير ووضعت عليها علامة في نفس المكان الذي كانت فيه العلامة التي وضعها مايلز على خريطته ..

وجذبت الصحفية الخريطة من يدي بأصابع متلهفة وهي تقول: "أحقًا يا هال .. لن أنسى لك هذا أبدًا." وأسرعت المذيعة تعطي الخريطة لقائد الطائرة وتقول له: "اتجه إلى هذا المكان .. بسرعة." .. وسرعان ما استدارت طائرة الهليكوبتر .. واتجهنا إلى المكان المحدد على الخريطة.

كان المكان عبارة عن فيلا قديمة .. ولم تكن حولها أية سيارات .. ولم يكن بجوارها أية سيارات شرطة أو أية حركة غير عادية .. فقد كانت السيارات تسير في طريقها المعتاد متخطية الفيلا .. ومسحنا القطاع كله بالهليكوبتر دون أن نرى أي حركة غير عادية .. ترى ماذا حدث؟ .. أنا واثق أن تلك كانت النقطة

التي وضع عليها مايلز علامته .. وهبطت الطائرة بجوار الفيلا .. والمذيعة وطاقم التصوير ينظرون لي شزرًا .. مرة أخرى .. لاشيء .. المكان مهجور ويبدو وكأن أحدًا لم يقترب منه منذ فترة طويلة ..

وسرعان ما سمعت المذيعة تقول: "اسرعوا بالعودة إلى مكان الحادث الأول" وعقبت الفتاة في تأفف: "ما هذا يا هال .. لقد وثقت بك .. أهذا هو جزائي؟"

وأجبتها: "أنا لا أعرف ماذا حدث .. لقد كانت هناك إخبارية أكيدة عن وجود عملية تهريب هنا .. وكانت العملية من السرية بمكان .. حتى أن عددًا محدودًا جدًا من رجال الشرطة كانوا سيتربصون بالمهربين، ولكني لا أعرف ما الذي حدث."

عادت الطائرة بسرعة إلى مسرح الأحداث الأول .. وهناك كانت نادين ماجواير تقف بصدرها العريض وقد انتشرت حولها كاميرات المصورين .. ووضعت بالقرب من فمها عشرات الميكروفونات التي يمسك بها الصحفيون بينما أجهزة التسجيل تسجل كل كلمة تنطق بها. كانت نادين ماجواير تشرح بطريقة حماسية لجمهور امريكا كله الذي كان يتابعها على الهواء مباشرة عن طريق أجهزة التليفزيون .. كيف تمكنت هي وفريقها من القبض على تجار المخدرات الذين كانوا مكبلين بالقيود ومعروضين للتصوير وكان أعضاء فريق مكافحة المخدرات يدخلونهم مكبلين بالقيود إلى داخل سيارات الشرطة التي اصطفت الواحدة منها وراء الأخرى في طابور طويل.

وبجانب نادين ماجواير وإن كان أقل من طولها بسنتيمترات عديدة .. ظهر رأس أشقر .. مايلز طبعًا .. وقد وقف بجوارها كي تشمله الصور .. وسرعان ما نزلت الهليكوبتر التي كنت

أركبها على مبعدة وتوقفت وأسرعت المذيعة ساندرا آدامز تنضم إلى بقية الصحفيين ورجال الإعلام لكي تستطيع أن تحصل على ما تستطيع الحصول عليه من المعلومات التي تدلي بها نادين ماجواير. كانت الصحفية تنظر لي بنظرات أقل ما يقال عنها أنها نارية ..

بعد حوالي نصف ساعة .. انفض المولد دون أن يحاول أي من الصحفيين أن يتحدث معي .. وحين سألتني المذيعة ساندرا عن معلوماتي عن العملية .. أجبتها أنه لا معلومات عندي وأن نادين ماجواير هي المسئولة عن تلك العملية .. ووجهت لي وقتها المذيعة عدة كلمات عن تصرفاتي الصبيانية غير المسئولة التي ضيعت عليها وعلى الشبكة الإخبارية التي تعمل بها حدثًا مهمًا .. وسرعان ما قفزت في الطائرة الهليكوبتر واختفت عن الأنظار ..

فصل بلا عنوان

استقللت أحد سيارات الشرطة مع جيريمي تانت أثناء العودة وكنا نحرس ثلاثة من المجرمين جالسين في الكرسي الخلفي للسيارة .. ولما كنت لا أعرف الطريق فقد كان جيريمي تانت يقود السيارة بينما أمسكت أنا ببندقية .. لا أعرف كيف أستعملها أصلاً .. وشهرتها في وجه المجرمين المقيدين طوال الطريق إلى القسم .. وهناك اقتدتهم ليتم تصويرهم وأخذ بصماتهم .. كنت أفعل ما أرى الأخرين يفعلونه .. كانت هناك الكثير من الاستمارات جلست أملئها وسط دهشة الجميع.

أحسست بالامتهان والهوان والذل وأنا أرى نادين ماجواير تتحرك ببدنها الضخم وخلفها يتحرك مايلز بخطواته المتراقصة .. وهي تلقي بالأوامر هنا وهناك وسط فلاشات الكاميرات وإعجاب الجميع ..

لم يكن الأمر يحتاج إلى الشرح .. لقد تسرعت العصابة حين أرادت قتل نادين ماجواير لظنها أنها لن تتعاون معها .. لقد كانت نادين دائمًا، على ما يبدو، مستعدة للتعاون .. ولكن أحدًا لم يعرض عليها ذلك .. وحين أخبرتها أنا بالأمر .. رأت فرصتها .. فاتصلت بمايلز وأخبرته بما أخبرتها به .. وعرضت خدماتها وقد قبلت العصابة العرض طبعًا .. وحيدوني أنا .. بينما أعدوها هي لتكون بطلة العرض .. لقد مددت يدي لقرصة العقربة .. ولم تخيب هي رجائي ..

وبينما أنا في القسم دخلت الحمام المخصص للضباط .. وهناك وجدت من؟ .. صديقي الجبل الأسود جيريمي تانت .. وحين رأني مد يده بشكل تلقائي إلى مسدسه .. ورفعت يدي وأنا أقول

بمرارة: "إذا كنت تريد قتلي يا رجل .. فهيا .. فأنا لا أعرف أصلاً كيف أمنعك."

ورد الشرطي الأسود وهو يضحك: "أنا لم أصدقك حين قلت أنك فقدت الذاكرة .. بالله عليك .. ماذا فعلت لهم يا رجل؟"

كنت أعرف كما يعرف هو من هو المقصود بالضمير "هم."

وأجبت وأنا أهز كتفي: "لم أعد أستطيع أن أتعاون معهم."

كانت هذه هي الحقيقة .. فقد كان هال جونسون يتعاون معهم .. أما أنا .. محمود ثابت .. فلم أعد أستطيع أن أفعل ذلك.

ورد جيريمي: "كلا يا رجل، فإما أن تكون معهم من البداية، أو أن تكون محايدًا من البداية .. أما أن تكون ضدهم أو تنقلب عليهم بعد أن عرفت أسرارهم .. فلا يمكن أبدًا. إنهم سيقتلونك يا رجل."

فتح الباب ودخل مايلز وسرعان ما استدار جيريمي تانت وكأنه لم يكن يكلمني .. وخرج مغادرًا الحمام.

أما أنا فأستلمت مايلز .. ضربة بحذائي في قصبة ساقه .. ثم ضربة ثانية في بطنه بقبضتي .. ثم رفعت ساقي في ضربة مباشرة وجهتها إلى وجهه .. إنكفأ على وجهه في الحمام .. فحملته .. ووضعته على مقعد من مقاعد الحمام وأغلقت الباب وخرجت .. لقد ساءت الأمور إلى حد أن ضرب مايلز لن يزيدها سوءًا . وقد تمنيت أن أفعل ما فعلته منذ أن رأيت وجه ذلك الديك الشركسي الفخور.

في الممر الذي يفصل حمامات الرجال عن حمامات النساء .. كانت تقف نادين ماجواير وحدها .. وحين خرجت من الحمام وأردت المسير بجوارها في الممر .. رأيتها تسد طريقي وهي تقول: "لقد سمعت أصواتًا غريبة في الحمام .. من كان معك؟"

وأجبتها باستهزاء: "مايلز. وأنا لا شأن لي. لقد كان هو الذي أصدر الأصوات الغريبة .."

وقالت نادين بغضب: "إذن فقد ضربته .. بإمكاني أن أحولك إلى مجلس تأديب بسبب فعلتك هذه."

وقلت بصوت عالٍ: "إنهم يحولون الشرطي إلى مجلس تأديب لضربه زميله .. ترى ماذا يفعلون به حين يهرب المخدرات؟"

وخفضت صوتها وهي تقول: "إنك لن تستطيع إثبات أي شيء."

وأجبتها: "وأنت كذلك، فلن يقدم مايلز شكوى ضدي أبدًا."

استدرت تاركًا إياها تغلي من الغيظ، ولكني سمعت صوتها من خلفي يقول: "هال .. هال جونسون .. استمع لي .. من الواضح أن أعصابك متعبة .. وأنك تحتاج إلى الراحة .. ما رأيك في أسبوع تقضيه في راحة تامة .. وسنتصل بك في غضون هذا الأسبوع إن احتجنا لك .. يمكنك أن تذهب إلى جزر البهاما التي كنت تريد الذهاب إليها .. وحين تعود من الرحلة، أنا واثقة أننا سنتفاهم."

كانت دعوة للصلح أو ربما محاولة منها لكسب الوقت .. أو ربما تمهيد لقتلي .. ولكني وافقت .. وأخذت أسبوع أجازة ..

انطلقت أتمشى في الشوارع بعد مواجهتي مع نادين، وتعمدت السير في شوارع مزدحمة .. حيث من الصعب أن تحدث لي حادثة سيارة أو يقوم قناص بإحدى عمليات العنف العشوائي .. كما حدث لسبنسر رئيس هال جونسون السابق ..

وأثناء مشيي .. أطلقت لعقلي العنان أفكر في وسيلة للخلاص، ولمت نفسي على ضرب مايلز .. فلم يكن ضربه ليخدم أية غاية. هل بلغ بي العجز هذا المبلغ .. إلى حد أنني لا أجد مخرجًا إلا القيام بعمل أحمق لا يمكن تبريره استغل فيه ضخامتي .. مثل ضرب مايلز!! لم يكن مايلز هو المشكلة ولم يعد جزءًا من المشكلة وضربه لم يغير أي شيء والآن بعدما ضربته لم أعد أشعر إلا بالندم بسبب ضربه.

وفي الطريق وجدت دارًا للسينما .. كانت رأسي تؤلمني من كثرة التفكير وكانت قدماي تؤلمانني من كثرة المشي .. دخلت إلى السينما من باب الترفيه .. وربما النوم .. فلا أحسب أنني سأنام في أي من بيوت هال جونسون بعد ذلك أبدًا ..

كان الفيلم يدور حول ضابطتين تستعدان لدخول الشرطة الفيدرالية .. ومدى المهارات التي ينبغي أن تكتسباها من أجل الانتظام في سلك الفيدراليين. كان الفيلم بعنوان **Feds**. كان فيلمًا ضعيفًا بالنسبة لمدى منطقيته أو واقعيته ولكنه أوحى لي بفكرة ممتازة ..

وفكرت .. نعم إنها المباحث الفيدرالية .. هذا هو الطريق الوحيد للخلاص من مشكلتي .. إن المباحث الفيدرالية هي الدرجة الأعلى من الشرطة العادية .. وهي تعتبر بمثابة مخابرات داخلية لأمريكا .. وفكرت .. لو لجأت إلى الفيدراليين، فسوف يقومون بتدبير كمين محكم لمهربي المخدرات .. وسيعرفون

كيف يقبضون عليهم .. كما أن معلوماتهم سرية لا يمكن أن يصل إليها أمثال جيم الكبير .. أو نادين ماجواير .. أو غيرهما.

ولكن كيف يمكنني الاتصال بالفيدراليين .. وسرعان ما توجهت إلى إحدى أكشاك التليفون العمومية وطلبت من الفتاة العاملة في الاستعلامات أن تعطيني رقم الشرطة الفيدرالية .. واتصلت بالشرطة الفيدرالية .. حيث ردت علي فتاة أخرى وسألتني أية شعبة أحب أن أتصل بها وأجبتها: "شعبة مكافحة المخدرات."

وسرعان ما ردت علي فتاة ثالثة وقالت: "إن هذه هي الشرطة الفيدرالية شعبة مكافحة المخدرات" وقلت لها: "إن لدي معلومات سرية للغاية .. هل يمكنك أن تعطيني عنوانًا أتجه إليه؟"

كان المكان عبارة عن بناء مرتفع كتب عليه "الولايات المتحدة الأمريكية – إدارة الأمن" واستقبلني شاب مهذب حسن المظهر واقف في منطقة الاستقبال وكأنني قد دخلت إحدى شركات السياحة، ولما أخبرته أنني أرغب في الاتجاه إلى مبنى مكافحة المخدرات، أشار لي بالجلوس في إحدى مقاعد صالة الاستقبال حتى يستدعي لي أحد العملاء العاملين في قسم مكافحة المخدرات .. وحين سألني عن اسمي أخبرته أنه ريتشارد هاتلي.

جلست عدة دقائق في كرسي مريح بالاستقبال .. حتى أوشكت أن يغلبني النوم .. حين أتاني رجل يبدو وكأنه قد تجاوز الأربعين بسنوات قليلة .. هكذا كان يقول وجهه أما بدنه فكان يتحرك برشاقة تقل كثيرًا عن العمر الذي يوحي به وجهه .. كان وجه الرجل جامدًا ومتحجرًا، ولكنه يوحي بالثقة والجدية .. لو سألتموني عن رأيي .. كان ببساطة وجه رجل شرطة ..

وصافحني الرجل وهو يقول: "مستر ريتشارد هاتلي على ما أظن .. أم تحب أن أدعوك هال جونسون؟"

وسألته: "هل أخبرك رجل الاستعلامات أن هال جونسون ينتظرك في بهو الاستقبال؟"

وأجاب الرجل مبتسمًا: "طبعًا. ماذا كنت تريده أن يخبرني؟ .. لقد أخبرني أن هال جونسون قد طلب مقابلة رجل من رجال مكافحة المخدرات بالمباحث الفيدرالية .. وأنه لسبب ما يفضل أن يدعو نفسه باسم ريتشارد هاتلي . ولكنك هال جونسون بطبيعة الحال."

وكانت نظرته المتأدبة تعني "وهل يخفى القمر؟" وتمنيت في تلك اللحظة أن أخفى فعلاً ..

وبدأ الرجل حديثه فقال: "أنا العميل جون فيرارو من مكتب مكافحة المخدرات. أية خدمة يمكنني أن أقدمها لك؟"

وتنهدت وأنا أقول: "إنها قصة طويلة."

ورد فيرارو: "إذًا فليس هذه هو المكان الذي يمكنك أن تقصها عليّ فيه .. تفضل في مكتبي .. حيث يمكننا أن نتحدث على انفراد."

وصعدت إلى مكتب يتسم بالأناقة وهناك قصصت على الضابط القصة بالتفصيل .. بالطبع لم أذكر له أي شيء عن برنامج الكمبيوتر حتى لا يستدعي أقرب مستشفى للمجانين .. ومحوت كذلك من روايتي كل ذكر لشخصيات هال جونسون المنتحلة .. وبطاقات الائتمان التي استصدرها هال جونسون بإسمه

وبأسماء أخرى .. فلم أرد أن أسلم أموال هال جونسون لرجال المباحث الفيدرالية .. وإنما أردت أن أتبرع بها لأغراض الخير .. كي أكسب ثوابها ..

وبعدما انتهيت من روايتي، قطب الضابط جبينه وغرق في تفكير عميق ثم قال: "أنا أفهم موقفك في رغبتك في مكافحة رجال عصابة المخدرات تلك بعد أن استيقظ ضميرك نتيجة للحادث الذي تعرضت له ودبره لك رجال العصابة .. لقد قلت أن تلك المرأة نادين ماجواير رئيستك في الشرطة كانت في سبيلها إلى تقديم عرض صريح عليك."

وأجبته: "هكذا بدا لي .. ولكن ربما كانت تحاول فقط أن تكسب بعض الوقت حتى يتمكنوا من قتلي" ..

وقال الضابط: "كلا، لا أظن ذلك. أعتقد أنهم سيحاولون استرجاعك إلى صفوفهم، من الصعب أن يفقدوا شخصًا شهيرًا مثلك .. بذلوا جهودًا كبيرة من أجل تحويله إلى نجم جماهيري شعبي .. لا أظن أنهم سيحاولون قتلك فورًا .. خاصة وأنهم قد أظهروا لك أن باستطاعتهم أن يسدوا جميع المنافذ في وجه إبلاغك عنهم، ولاشك في أنهم يأملون في عودتك إليهم تائبًا. أنا أظن أن هذه الشرطية .. ماذا قلت اسمها .. نعم .. نادين ماجواير .. ستتصل بك ثانية، وحين تفعل ذلك .. أريدك أن تجاريها وتخبرها بأنك قد فكرت في الأمر وقررت أن تتعاون مع العصابة .. وأن ما حدث منك سابقًا كان نتيجة تعب أصابك بعد الحادثة التي تعرضت لها .. وكذلك نتيجة لمحاولتك الانتقام من جيم الكبير بسبب الحادثة .. يجب أن تقنعهم أنك قد راجعت نفسك وقررت الاستمرار في العمل مع العصابة."

قلت: "وهل سيصدقونني لو فعلت ذلك؟"

ورد الضابط: "ولم لا يصدقونك .. لابد أنهم قد صدموا حين قالت لهم نادين ماجواير أنك قد انقلبت عليهم .. وأعتبروا ذلك تصرفًا مجنونًا منك .. من الواضح كذلك أن لك تاريخًا طويلاً في التعامل مع العصابة وأنك كنت مفيدًا للغاية بالنسبة لهم .. وكانوا يراهنون عليك باعتبارك الجواد الرابح .. أعتقد أن فكرة عودتك للعمل معهم ستبدو لهم منطقية .. خاصة وأنك فقدت الكثير ويمكن أن تفقد ما هو أكثر لو استمررت في العمل بعيدًا عنهم .. إن سوق المخدرات اليوم .. خالٍ نسبيًا .. وربما قرروا طرق الحديد وهو ساخن .. والقيام بعملية جديدة .. وعندما يخبرونك بها .. عليك أن تخبرني .. وسوف نقبض عليهم متلبسين."

وأردف الضابط قائلاً: "وحتى ذلك الحين لا أحب أن تقابلني أو تتصل بي تليفونيًا من تليفون مسكنك .. كذلك لا تقص قصتك هذه على أي شخص أخر مهما كان .. فقد يدسوا عليك شخصًا أخر كي يختبروا مدى استعدادك للإبلاغ عنهم .. وعلى العموم كلما قل عدد الأشخاص الذين يعرفون أنك قد اتصلت بنا .. كلما كان ذلك أفضل .. ولا يجب أن تقلق فسوف نراقبك نحن بطريقتنا ولن يستطيعوا الاقتراب منك دون أن نعرف ذلك. سنراقبك من بعيد ونحميك من أي محاولات للإضرار بك، ولكن أنت كذلك يجب أن تحترس لنفسك. حاول أن تحتفظ بسلاحك قريبًا منك دائمًا وألا تنفرد بشخص مسلح أو بأكثر من شخص في مكان مغلق."

وكدت أن أقول له أن الذي يحمي هو الله سبحانه وتعالى، ولكنه كان يبدو رجلاً عمليًا ليس من النوع الذي يهتم بالإعتبارات الدينية ولهذا سكت ولم أعلق على حديثه بشيء.

في نهاية تلك الجلسة مع الضابط جون فيرارو صافحته مودعًا بعد أن أخذت أرقام هواتفه .. ووعدته بالإتصال به في حال حدوث أي شيء ..

قضيت أسبوعًا كاملاً أتجول في نيويورك .. وأستمتع بالرحلات المختلفة فيها. كنت أحس في داخلي بالملل والضياع .. وربما الفشل الشديد .. حتى أنني فكرت في الانتحار للخلاص من جسد هال جونسون .. ولكني لم أكن أعرف عواقب الانتحار ضمن برنامج الكمبيوتر الذي أعمل من خلاله .. ربما كانت نهاية الانتحار بالنسبة لبرنامج الكمبيوتر مختلفة عن نهاية الموت .. ربما أني إذا انتحرت أنهيت حياتي وعاقبني الله بدخول النار لإنهائي لحياتي بيدي، فأكون قد خسرت الدنيا والآخرة .. إن الإنتحار قد لا يكون ضمانًا للعودة إلى جسدي الأصلي وحياتي في مصر مرة أخرى.

عدت إلى البيت في آخر ليلة من أسبوع الإجازة، وأعني بالبيت الفيلا التي استأجرها هال جونسون باسم ريتشارد هاتلي .. أقول عدت لأجد سيارة حمراء رائعة من نوع فيراري موجودة أمام باب الفيلا .. وقد جلس بالسيارة شخص ما ..

طبعًا في الظلام لم يكن بإمكاني إدراك هوية ذلك الشخص .. وأحسست بالرعب الشديد .. ترى هل أرسلوا شخصًا ليقتلني .. واستعددت .. لماذا؟ لضرب الشخص .. ربما كان مسلحًا .. بل هو في الغالب مسلح .. وأنا لا أحمل سلاحًا .. كلا، لم استعد للقتال بل استعددت للجري طبعًا .. فالجري كما يقولون هو نصف الشجاعة في حالات كثيرة وقد كان الشجاعة كلها في حالتي تلك ...

لم أكن في حاجة إلى الجري .. فسرعان ما خرج شيء ضخم من السيارة .. إنها نادين ماجواير ..

حقًا أن سنة الحياة هي التغير .. فلا أحسب أنني حين زرت نادين ماجوارير في بيتها كانت تقف أمامه سيارة فيراري حمراء .. هذا طبعًا إذا علمنا أن سعر الفيراري يتراوح بين خمسين إلى سبعين ألف دولار بعد الخصومات[٤] .. واقتربت نحو السيارة .. ولما رأيت أن نادين كانت غير مسلحة .. وقفت أتأمل السيارة وقلت لها: "سيارة جميلة .. لاشك أنها جديدة." وابتسمت إبتسامة ذات مغزى ..

وردت نادين وهي تبتسم ساخرة: "لقد حرمت نفسك من الكثير من الأشياء الجميلة حين قررت أن تعمل ضدنا يا هال .."

ضدنا!!! .. بالأمس كانت العصابة تعتزم قتلها والآن أصبحت هي وتجار المخدرات شيئًا واحدًا .. نعم إن التغير هو سنة الله الحياة .. سبحان مغير الأحوال .. يغير ولا يتغير ...

وأردفت نادين تقول: "وبالطبع فإن هذا شيءٌ يمكن إصلاحه .. إذا اتفقنا طبعًا."

وقلت لها: "وهل سنقف هكذا نتحدث في الخارج .. لماذا لا تتفضلين لنتحدث داخل البيت."

وابتسمت الفتاة وهي تستعد لإغلاق السيارة .. وإن كانت لم تنس أثناء الإغلاق أن تضع مسدسًا يشبه في حجمه بندقية صغيرة في حزامها .. نعم. إن أعداء الأمس قد يكونون أعداء اليوم كذلك .. يبدو أن هال جونسون قد لدغها مرة ولن تدعه

---

[٤] هذه المعلومة عن السيارة الفيراري كانت صحيحة في عام ١٩٩٦.

هي يلدغها الثانية .. قلقت طبعًا من أنني سأتواجد مع نادين في بيتي وحدنا وهي مسلحة .. كما أنه طبقًا لأفكاري أنا يُخيل إليّ أن التصالح بين هال جونسون وعصابة المخدرات ليس في صالحها، فهي تطمح إلى لعب دور البطولة المطلقة أو هكذا خُيل إليّ عندما رأيتها يوم القبض على العصابة في آخر يوم رأيتها فيه من قبل.

وبمجرد دخول نادين إلى بيتي .. أو قل إلى بيت هال جونسون .. بدأت الفتاة في التجول داخل المنزل .. دخلت كل الغرف وبحثت في كل مكان يمكن أن توجد به كاميرا فيديو أو مسجل للصوت .. ثم جلست .. وحين عرضت عليها أن تشرب شيئًا دخلت بنفسها إلى المطبخ وأخرجت من الثلاجة علبة بيرة معدنية .. مضادة طبعًا للتسمم والتخدير . الحق أن ثقتها في هال جونسون تثبت إلى أي حد كان هال جونسون ذاك رجلاً عظيمًا ..

وجلست الفتاة أمامي وبإحدى يديها تمسك علبة بيرة وبالأخرى أخرجت المسدس ووضعته على ساقها .. وأبقت يدها قريبة منه ..

وقالت: "لو كان الأمر بيدي لما أهتممت بك، ولكن جيم الكبير يريدك معنا .. وقد قال أنه في حالة إذا ما أثبت ولائك لنا مرة أخرى .. فسيضع في حسابك البنكي مبلغ نصف مليون دولار .. وهو يعتبر هذا المبلغ إعتذارًا كافيًا عما فعله بك هاري المجنون .. لنصفي خلافاتنا .. ونعمل كيد واحدة من أجل خير الجميع ..

وتذكرت الصبي اليتيم المسكين توم بيليز الذي أفقدته المخدرات الشيء الوحيد ذا القيمة الذي يمتلكه .. حياته نفسها .. والتي

كانت قصيرة وتعيسة .. نعم .. من أجل خير الجميع .. يبدو أن هؤلاء جميعًا هم مجموعة من الناس لا ضمير لهم بالمرة ..

وأردفت الفتاة: "أنا مجرد مبعوث .. لقد طلبت منهم أن يرسلوا مايلز .. ولكن جيم الكبير رفض وقرر إرسالي أنا .."

وقلت لها: "وأنا موافق على عرض جيم الكبير .. لقد كنت متضايقًا لما فعله هاري بي .. ولكن بعد أسبوع الإجازة أخذت وقتًا كافيًا للتفكير في الأمر .. ولم يعد لدي مانع من استكمال التعاون معكم .. بشرط أن أكون أنا المسئول الأول عن أية عملية تهريب .."

وحدجتني الفتاة بنظرة شريرة وهي تقول: "إن جيم يوافق على عرضك، ولكنك لن تقوم بدور البطولة المطلقة في جميع العمليات .. سنتقاسم القيام بالبطولة .. وسيكون على كلٍ منا أن يحمي ظهر الأخر أثناء قيامه بالعملية .. وحتى تعرفَ مدى رغبتي في التعاون يا هال سأترك لك العملية القادمة .."

وسألتها: "العملية القادمة!! لا تقولي أنها قد تحددت بهذه السرعة .."

وأجابت نادين: "ولم لا؟ المخدرات قليلة في الأسواق هذه الأيام وسعرها مرتفع .. إنها عملية صغيرة .. ولكن يجب إخضاعتك لعملية اختبار لولاءك قبل أن نقبلك ثانية وسط صفوفنا ..

وجلست وقلت للفتاة: "حدثيني عن العملية القادمة."

وأجابت: "ستخرج أنت ومايلز الليلة ومعكما كمية صغيرة من المخدرات في مركب يعمل بالمحرك .. وفي مكان يعرفه مايلز

.. سيقابلكما لنش أخر .. وعندها ستسلمان ركابه المخدرات وتستلمان ثمن المخدرات وتعودان .. العملية بسيطة."

وسألتها: "ولكني أعتقد أن هناك تفتيش في الموانيء هذه الأيام."

وأجابت الفتاة: "معلوماتك ليست صحيحة، وعلى أية حال فأنتما ستخرجان من مرفأ أحد النوادي حيث لا يوجد تفتيش .. أما إذا قابلكما لنش من لنشات الشرطة .. فأنتما ضابطا شرطة في مأمورية سرية .. وسأؤيد حديثكما فيما بعد إذا ما سألوني عن ذلك." .. وظهرت على وجهها ابتسامة وهي تقول: "وعلى أية حال .. من ذا الذي يفكر في تفتيش هال جونسون؟"

سألتها: "لماذا لا نخرج أنا وأنت في هذه العملية؟ إني لا أرتاح لمايلز هذا أبدًا."

وأجابت الفتاة: "إنك تنسى يا هال أنك فاقدٌ للذاكرة .. مايلز فقط هو الذي يعرف مكان التسليم وشخصية المستلم .. وعلى العموم فأنا لا أفهم كيف تقلق من مايلز .. إنه ليس بالإنسان الذي يستحق أن تقلق من أجله .. تجاهله فقط .. وحين تعود إليك ذاكرتك بالكامل .. لن تكون محتاجاً للخروج معه .. بل ربما نتخلص منه."

قال كلمتها "نتخلص منه" وكأن الأمر بيدها .. لقد أصبحت نادين ماجواير في غضون أسبوع واحد إحدى زعيمات عصابة تهريب المخدرات .. بعدما كانت شرطية من المفروض أن تحارب مثل تلك العصابة .. ثمن سيارة فيراري جديدة صنع تلك النقلة .. ويا لها من نقلة.

وسألتها: "ومتى نقوم بالعملية؟"

أجابت وكأنها تستمتع بكل لحظة من لحظات حياتها: "في هذه اللحظة بالذات، حالاً .. سأخذك في سيارتي .. علينا أن نقابلهم عند المرفأ خلال موعد أقصاه ساعة من الزمن .. سأنتظرك هنا حتى تنتهي من تبديل ملابسك."

ونظرت في الصالة التي كنا نجلس بها .. كانت هناك وصلة تليفونية .. وهذا معناه أنني لن أستطيع أن أتصل بجون فيرارو من غرفة نوم هال جونسون .. على العموم، لقد أكد لي أن رجاله سيراقبونني بدون أن أشعر .. آمل أن يفهم خروجي مع نادين ماجواير على حقيقته .. ويراقبني ولكن لا يقبض على نادين ماجواير ولا مايلز ..

طبعًا لو كنت حدثته الآن لأخبرته أن يترك مايلز ونادين ماجواير ويركز على تتبع العصابة التي ستستلم المخدرات وتدفع ثمنها .. فلو أحست عصابة المخدرات التي يتبعها مايلز ونادين ماجواير بأن هناك من يتابعهما أو تم القبض على مايلز ونادين ماجواير فقد لا يفشيا أسرار العصابة إلى الشرطة وتكون العصابة قد تم إنذارها بأن المباحث الفيدرالية تتابعها .. وبالتالي تفلت الرؤوس الكبيرة من عصابة المخدرات ذات النفوذ التي يحميها رجالٌ من الشرطة .. ولكن طبعًا أنا وقتها لم يكن بإمكاني أن أفعل أي شيء .. وآملت أن يكون فيرارو هذا حصيفًا وأن يقدر أن مايلز ونادين ماجوير هما سمكتان صغيرتان في حوض يمتليء بأسماك القرش والباراكودا وغيرها من الأسماك الكبيرة المفترسة ..

وسرعان ما قمت بتغيير ملابسي .. ووضعت مسدسًا في حزامي .. وأنا آمل أن تسنح لي الفرصة للاتصال بفيرارو ...

لم تسنح لي فرصة الاتصال .. وسرعان ما وجدت نفسي على ظهر مركب يعمل بمحرك "لنش" يقف عليه مايلز واثنان من البحارة .. وأسرع مايلز ناحيتي وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يقول: "عزيزي هال .. كيف حالك؟ .. أترى! سنعمل معًا كما كنا دائمًا نعمل في الماضي القريب."

وحين رأى تقطيبة جبيني قال: "ما هذا يا رجل ...لندع الماضي للماضي ولنركز على المستقبل ... ففي جميع الأحوال، لا يجب أن نخسر صداقتنا."

ونظرت إليه باحتقار ولم أعقب على حديثه . وتقدم مايلز ليدير مفتاح اللنش .. وانطلقنا وسط المياه لمسافة ليست بالطويلة ... كان الليل مدلهمًا والليلة بلا قمر .. ووصلنا إلى منطقة لم يكن بها أي ضوء .. وبعد فترة .. أوقف مايلز اللنش .. وسرعان ما أخذ يفتح كشافات اللنش .. واحدة تلو الأخرى .. ثم يغلقها .. ثم يفتحها مرة أخرى .. وهكذا .. كان واضحًا أن هناك شفرة ما تنتقل باستخدام الأضواء .. وبعدها أغلق مايلز الكشافات كلها .. وكانت محركات المركب مغلقة ..وبقينا ننتظر في الظلام بلا صوت ولا ضوء ...

وبعد فترة ظهرت إشارات ضوئية لمصابيح لنش أخر تُضاء وتُغلق طبقًا لشفرة ما .. ثم سمعنا صوت لنش يتحرك نحونا .. كنا غارقين تمامًا في الظلام .. ولكن .. وعلى الرغم من أن اللنش الأخر كان مغلق الأضواء .. كان بإمكاني أن أتبين لنشًا كبيرًا يقترب منا في الظلام .. وفجأة أضاء اللنش أنواره ... فوقعت في أعيننا مباشرة ... ورفعت يدي أداري بها عينيّ اللتان أصبحتا لا تكادان تبصران بسبب الضوء المفاجيء الشديد ..

وأخيرًا بدأت عيناي تتعودان نسبيًا على الضوء .. كان هناك رجل يقف على اللنش ويرتدي ثياب البحارة وقد غطى رأسه بطاقية سوداء .. كان اللنش يقترب ببطء وهو مضاء الأنوار وقد سلط كشافاته علينا مباشرة .. ومع اقتراب اللنش وعلى الرغم من أنني لم أكد أبصر بالمعنى المتعارف عليه للكلمة .. فقد بدأت ملامح الرجل تتضح لي شيئًا فشيئًا .. إنه جون فيرارو .. رجل مكتب المباحث الفيدرالية .. الذي قصصت عليه داخل مبنى مكتب المباحث الفيدرالية قصتي مع العصابة .. ووعدني بالقبض عليهم .. لقد جاء يقبض عليهم ..

لو هاجم العصابة الآن .. فسيقبض على مايلز فقط ... وسيفلت جيم الكبير وبراون وبقية زعماء العصابة .. حتى نادين ماجواير قد تفلت في حالة مهاجمته لنا الآن .. ورفعت يدي أشير إليه أن يبتعد حتى يقترب منا اللنش الأخر الذي جاء يستلم المخدرات .. ولكن فكرة ما أوقفت يدي في الهواء ...

وفجأة ومن خلال جفنيّ نصف المغمضتين .. رأيت جون فيرارو يرفع بندقية في اتجاهنا .. ثم يطلق عليّ الرصاص .. أتتني الرصاصة في كتفي فأدارتني حول محوري لأسقط على سطح اللنش .. وسمعت صوت مايلز وكأنه يأتي من بئر عميق يقول بفرح: "أحسنت يا جيم" ..

الانتقام الرهيب

ها أنا ذا أرقد في مستشفى للمرة الثانية منذ دخولي تلك المغامرة .. ذكروني أن أسميها "مغامرة المستشفيات" وإن كانت والحمد لله المستشفى التي نُقلت إليها بعد أن وجدوني في النهر ليست المستشفى التي دخلت إليها في المرة الأولى .. كنت قد قمت بصباغة شعري وإزالة أي أثر يدل على أني هال

جونسون بعد سقوطي في النهر مصابًا بالطلق الناري الذي ضربني به جون فيرارو .. ولكني مع ذلك بقيت قلقًا من أن يتعرفوا علي كهال جونسون داخل المستشفى ..

استيقظت من إغمائتي لأجد ذراعي اليسرى معلقة في جبيرة مربوطة إلى حامل .. وقد انتشرت في جسدي عشرات الإبر التي تنقل إلى جسمي محاليلاً مختلفة الألوان .. وأدرت رأسي التي كانت مختبئة تحت قناع أكسجين لأجد رجلاً يرتدي رداءًا أبيض واقفًا في الغرفة ..

وأقترب مني الرجل .. حتى أمكنني أن أرى الكتابة الموجودة على بطاقة في أعلى معطفه الأبيض .. د. ويلسون .. وسألني شيئًا بصوت خفيض .. لم أجب طبعًا .. فسألني شيئًا أخر .. لم أسمعه ثانية

وتحدثت أنا وإن كنت أجد صعوبة رهيبة في فتح فمي .. والتغلب على جفاف حلقي الرهيب: "ارفع صوتك."

وسرعان ما رفع الطبيب قناع الأكسجين وهو يقول: "من الجيد أننا أنقذناك. كيف تشعر؟"

وأجبته: "أنا بخير."

قام الطبيب بقياس النبض والضغط .. ونظر إلى العديد من الأجهزة المتصلة بي .. ثم سألني: "هناك اثنان من رجال الشرطة يرغبان في الحديث إليك .. هل تريد مقابلتهما أم تشعر أنك لن تستطيع أن تقابلهما في الوقت الحاضر؟"

وأجبته: "بل سأقابلهما."

وسرعان ما دخل غرفتي شخصان يرتديان الثياب المدنية. كانا رجل وامرأة، وعرفاني بأسماءهما وإن كنت لم ألتقط تلك الأسماء فقد كانا يتحدثان بسرعة وكنت أنا في حالة ممتازة من الوعي طبعًا .. وجلست الفتاة على كرسي إلى جواري بينما كان زميلها يجوب الغرفة ومنظره يوحي بأنه يحس بالملل الشديد .. كانت مهمة روتينية بالنسبة لهما من وجهة نظري .. كانا قد حددا نوعية الشخص المصاب .. وكان الشرطي يتصرف وكأنه يتوقع سلفًا ما سأقوله .. ترى لو قلت الحقيقة فهل يستمر احساسه بالملل؟ .. لو قلت الحقيقة فلن أقول شيئًا بعد ذلك.

وبدأت الفتاة بتوجيه الأسئلة: "لقد وجدناك في النهر مصابًا بطلق ناري .. وليس معك أية أوراق إثبات شخصية .. ما هو اسمك؟

أجبتها: "جونزاليس .. الونزو جونزاليس."

وسألتني الفتاة: "وأين تقطن؟

وأعطيتها عنوان البيت الذي أجرته مؤخرًا بذلك الإسم ..

وسألتني الضابطة: "وماذا تعمل يا مستر جونزاليس."

أجبتها أني أعمل في الأعمال السريعة ... غسل الأطباق والعمل في السوبرماركت .. بإختصار أي عمل أجده .. وعلى العموم فأنا لم أحضر إلى نيويورك إلا منذ أسبوع فقط .. كنت قبل ذلك أعمل في نيوأورلينز ..

كان من الواضح أن الأمر يُعامل بروتينية شديدة .. فالضحية .. أنا بلا فخر .. كما يبدو .. مجرد صعلوك أخر .. ولابد أنه

مندرج ضمن نشاط إجرامي .. ويبدو أن أحد زملاءه قد حاول قتله نتيجة لخلاف بينهما .. مثل هذه الأمور لا تهتم بها الشرطة عادة .. نعم .. كان من الواضح أن الشرطة قد لا تهتم ببحث أقوالي فظواهر الأمور تدل على أن ضابطا الشرطة لم يكونوا متلهفين للتدخل في حرب عصابات ولم أكن أنا أكثر لهفة منهما لإشراكهما في الأمر .. وسألتني الفتاة: "هل تذكر ماذا حدث لك في ليلة الجريمة يا مستر جونزاليس؟"

وأجبتها: "كنت أتجول في منطقة نائية قريبة من الميناء .. فأنا أحب التجول ليلاً بجانب النهر .. حين خرج علي شخصان أحدهما أبيض والأخر أسود .. وأطلقا عليّ الرصاص .. ثم حملاني وألقيا بي في الماء."

هزت الشرطية رأسها بتشكك بينما نظر لي زميلها باحتقار .. نعم هذا ما يقولونه دائمًا عند إندلاع الحرب بين العصابات.

وتثائبت الضابطة وهي تسأل: "وهل تبينت ملامح أيًا منهما؟"

وأجبتها: "كلا .. فلم أكن في حالة تمكنني من تبين ملامحهما .. لقد كنت قد تناولت كأسين من الفودكا."

ورحل الضابط والضابطة .. بعدما انتهيا من التحقيق .. كل ما كان يهمني أن يكتبا في تقريرهما أن المجني عليه هو الونزو جونزاليس .. وأن له مكان سكن معين في نيويورك .. وأن حادثته قد تمت بشكل مختلف تمامًا عن حادث هال جونسون.

مكثت في المستشفى لمدة شهرين تقريبًا .. دعك من أحاسيس اليأس والإحباط والملل التي كانت تصيبني يوميًا في المستشفى .. كان هناك شعور أقوى يغلب على تلك المشاعر .. الغضب ..

كنت أستيقظ من الليل على سرير المستشفى أتصبب عرقًا وأفتح فمي لأصرخ ثم أكتم صرختي .. حين أتذكر ما فعلوه بي .. بي أنا محمود ثابت .. فلم يكن المقصود في هذه المرة هو هال جونسون .. لقد تمكنوا من خداعي وضربي ثم ظنوا أنهم قتلوني .. فلا نجوت إن نجوا ..

لا أذكر من هو القائد المتفائل الذي قال: "إن العدو يحيط بنا من الأمام ومن الخلف ومن اليمين ومن اليسار .. قد أحكم الطوق علينا .. ولهذا فإنه لن يفلت منا هذه المرة."

أهو قول مضحك عزيزي القاريء .. لو تأملت الأمور من حولنا فلن تجد أنه قول مضحك إلى هذه الدرجة .. فالعبرة أنه لا يهم ما هو موقعك .. وما هو موقع أعدائك طالما أنك الأقوى وقد كنت واثقًا أنني الأقوى هذه المرة .. كانوا في الماضي هم الأقوى لأنهم كانوا المبصرين وكنت أنا مغمض العينين .. لم أكن أعرف أن نادين ماجواير كانت تبحث عن فرصة للإنحراف والانضمام لعصابة تتاجر في المخدرات مقابل سيارة فيراري .. لم أكن أعرف أن رجل المباحث الفيدرالية جون فيرارو هو جيم الكبير .. وهو رئيس العصابة .. أما اليوم فأنا المبصر .. وهم مازلوا يعتقدون أنني جثة هامدة ..

داومت على قراءة الجرائد كل يوم .. لم تظهر جثة هال جونسون .. وإنما تم الإبلاغ عن اختفاءه .. ولم يجسر أحد على الإعلان عن موته ..

بعد مضي حوالي الشهرين خرجت من المستشفى وقد شفيت تقريبًا .. وساعدني على الشفاء لياقة جسم هال جونسون المرتفعة .. فمهما يُقال عن ذلك الشرطي الفاسد .. فقد كان يعتني بجسمه عناية فائقة ..

كنت قد حلقت شعري تمامًا وأنا بالمستشفى .. حيث استعرت كريم الحلاقة وشفرة الحلاقة ومقصًا من أغراض أحد المرضى في الغرف المجاورة لي .. وبدلاً من شعر رأسي أطلقت لحيتي وشاربي .. فلم أكن أريد أن يفطن أحد إلى أنني هال جونسون ..

وفي خلال الأسبوعين التاليين بعد خروجي من المستشفى أشتريت بأموال هال جونسون سيارة رمادية قديمة بحالة جيدة .. وأستبدلت السيارة التي كنت قد اشتريتها قبلاً باسم الونزوا جونزاليس بسيارة سوداء في حالة جيدة .. وأخذت أتبع جون فيرارو في كل مكان يذهب إليه ..

كنت في بعض الأيام أركب السيارة الرمادية وأتركها في منتصف الطريق الذي كنت أعرف أن فيرارو سيمر به ..ومن هناك أركب السيارة السوداء .. أو العكس .. وكنت أغير ثيابي كل فترة .. فقد وضعت بعض سترات وقبعات هال جونسون داخل كل سيارة وكنت أغيرها من وقت لأخر .. كذلك اشتريت عددًا من النظارات مختلفة التصاميم والألوان بحيث يتغير شكل وجهي مع كل منها .. وكنت أغيرها مع القبعات والسترات .. كلما سنحت لي الفرصة ..

كذلك كنت حريصًا على ترك سيارتين بين سيارتي وبين سيارة فيرارو في كل مرة كنت أتبعه فيها .. ولم أكن أتبعه كثيرًا في النهار .. كنت أنتظره بعد انتهاء دوامه في عمله في مكتب المباحث الفيدرالية .. وأتابعه معظم الوقت بعدها .. حيث أن رجال المباحث الفيدرالية طبعًا كانوا يتلقون تدريبًا قويًا على التعرف على أي شخص يتتبعهم وعندهم درجة عالية من القدرة على إدراك البيئة المحيطة بهم ..

في بعض الأحيان كان الحظ يحالفني في إتباعه .. وفي أحيان أخرى كان يفلت أو يتوه مني .. وكنت أتركه يفلت .. قبل أن يحس بأن هناك شخصًا ما يتبعه .. وأترك الأمر للمرة التالية .. وفي خلال أسبوعين تمكنت من حصر أربعة أماكن يذهب إليها بشكل مستمر .. أحدها هو مركز البوليس الفيدرالي الذي قابلته فيه .. والثاني منزل بعيد عن العمران .. أو هكذا يبدو لي .. على شاطيء البحر يقضي فيه أيام الإجازة .. والثالث بيت صديقته .. والرابع بيته هو شخصيًا ..

وفي يوم من الأيام سرت خلف سيارته بسيارتي كالعادة .. وتركته في منتصف الطريق واتجهت إلى طريق أخر كنت أعرف أنه يتلاقى مع هذا الطريق في منتصف المسافة .. التقطه ثانية في منتصف الطريق .. ومضى في نفس اتجاه بيته وأنا خلفه .. وبدأت أحسس بالملل .. فأنا أتبعه تقريبًا في هذا الطريق يوميًا دون أي تغيير .. ولكنه فجأة انعطف بسيارته يمينًا في طريق لم يسر فيه من قبل .. وقفز قلبي من مكانه .. ترى هل اكتشف تتبعي له؟ ..وهو يختبرني .. وفكرت أنه ربما كان يرغب في شراء شيء ما .. لعله متجه إلى السوبرماركت مثلاً .. وهو أمر لم أره يفعله قط ..

هدأت من سرعتي .. وأخذ أتبع أضواء سيارته من بعيد .. وفجأة بدأ يسرع .. كان الطريق خاليًا ولم أستطع أن أسرع أنا كذلك لأنني كنت وقتها سأكشف تتبعي له .. ثم اختفى عن الأنظار .. وبعدما اختفى أصبحت سيارتي تمضي وحيدة في الطريق .. استمررت في نفس الطريق لدقائق ثم توقفت في منتصف المسافة راكنًا سيارتي في جانب الطريق وأنا أقدر أنني قد فقدت أثره، وأنه الآن إما أنه دار في إحدى المنعطفات دون أن أراه أو مشى في خط مستقيم وأنا لم ألحق به بسبب سرعته .. وفجأة ظهرت سيارته من إحدى الشوارع الجانبية .. يبدو

أنه كان يدور حول المنطقة .. وأطفأت مصابيح سيارتي وأنا أتبعه من بعيد مستعينًا فقط بأضواء سيارته .. وفجأة دار ومضى لفترة في طريق سريع يمتليء بالسيارات التي كانت تنطلق مسرعة .. وانطلقت أنا مسرعًا أتبعه على مبعدة دون أن أضيء مصابيح سيارتي .. كانت مخاطرة كبيرة .. ولكنها كانت ضرورية ... ثم دار داخلاً منطقة سكنية شعبية مزدحمة وحين رأيت المكان يموج بالضجيج والحركة والزحام .. أضأت أنوار سيارتي وتبعته على مبعدة ..

كانت هناك فيلا من ثلاثة طوابق تحوطها الأشجار من كل جانب .. اتجهت سيارة فيرارو نحو الفيلا ثم أبطأ سرعته وتوقف .. واستمررت أنا في السير بسيارتي لدقائق بعدما تخطيت الفيلا .. ثم ركنتها في مكان بعيد وعدت ماشيًا على قدميّ إلى الفيلا التي توقف عندها فيرارو ووجدته قد ركن سيارته عندها .. كان للفيلا سورًا صغيرًا من الخشب الأبيض .. نظرت أمام الفيلا ولم أر أي شخص .. هل كان هناك حراس ولكني لم أكن أراهم؟ ..

ذهبت إلى الفيلا المجاورة ثم دخلت وسط الأشجار ودخلت مجال الفيلا التي أظن أن فيرارو قد دخل إليها .. مكثت ساكنًا وسط الأشجار لمدة ساعة حتى اطمأننت من أنه لا توجد حراسة ولا يوجد شخص أخر في المنطقة المليئة بالأشجار المحيطة بالفيلا ..

تحركت بحذر في اتجاه المنطقة خلف الفيلا .. ثم سكنت هناك لدقائق .. لم يكن هناك حراس بالمرة .. درت حول الفيلا ببطء شديد وحذر .. ولم أجد أحدًا... كانت هناك نافذة مفتوحة وغير معتمة في الجزء الغربي من الفيلا .. ولكني لم أتجه إليها أولاً .. بل اتجهت بداية إلى الجزء الخلفي من الفيلا حيث لا توجد

نوافذ شفافة في الطابق الأرضي من الفيلا .. ما الأمر؟ هل هذه الفيلا بريئة تمامًا ولا يوجد شيء يحدث بها لدرجة أنهم لا يضعون عليها حراس أم أنهم يخفون الشيء الثمين بوضعه واضحًا أمام أعين الجميع .. وطالما أنه واضح وفي متناول الجميع .. إذن فسيفترض الجميع أنه لا قيمة حقيقية له .. لأنه لو كان قيمًا لوضعوا له حراسة ما ..

اقتربت من الفيلا .. كان هناك صوت طرق خبط وأصوات مثل نشر الخشب .. أو هذا ما خيل لي .. هل أصبح فيرارو فجأة يعمل بالنجارة؟ ..أم لعلها إحدى هواياته بخلاف المتاجرة بالمخدرات؟ .. أم أنها أصوات مسجلة مثلاً يضعونها لكي يخدعوا من يتسمع خارج الفيلا؟ .. لعل الأنشطة التي تدور داخل الفيلا مختلفة تمامًا عن النجارة وأنا أذني تخدعني .. أو لا تميز بين أصوات الأنشطة المختلفة ..

انتظرت قليلاً حتى تأكدت من غياب الحراسة فعلاً .. وفي المنطقة المظلمة تمامًا خلف الفيلا .. تسلقت إحدى الأشجار القريبة من إحدى النوافذ القريبة من سطح الفيلا بالطابق الثالث من الفيلا .. تسلقت الشجرة وهناك وجدت نفسي أنظر إلى معمل .. كان هناك العديد من الأشخاص يلبسون ثيابًا بيضاء وكمامات للفم وواقيات للأعين وقفازات طبية .. ويقومون بإجراء عمليات معملية .. وعلى الرخام كان هناك الكثير من المسحوق الأبيض .. ولئن تساءلت عن ماهيته .. فقد تبدد شكي حين بدأ أحدهم يجمعه بحرص شديد في كيس سميك محاذرًا أن يضيع أي جزء منه ..

وفي الطابق السفلي وخلف شجيرة مجاورة لنافذة مضاءة في الجزء الغربي من الفيلا راقبت عدة نجارين يقومون بإخفاء أكياس صغيرة تحوي المسحوق الأبيض .. داخل فجوات توضع

في أخشاب قطع الآثاث المفرغة من الداخل .. كان هناك نجارون يقومون بإخفاء الأكياس وأخرون يقومون بطلاء قطع الآثاث بعد الانتهاء من وضع الأكياس بها وإغلاقها تمامًا .. عمل متقن مائة في المائة ولا يمكن الشك به .. فقد كان النجارون الذين يقومون بالعمل على درجة عالية من المهارة .. وقريبًا من البيت في الشارع الخلفي كانت تقف سيارتان مكتوب عليهما أنهما مخصصتان لنقل الآثاث .. أخرجت ورقة وقلمًا من جيبي ونقلت رقمي الشاحنتين وعنوان البيت على ورقة صغيرة .. وسرعان ما عدت إلى سيارتي .. يبدو أن عملية إخفاء الأكياس هذه وصنع قطع الآثاث وطلاءها ثم حملها ووضعها داخل السيارتين لن تنتهي قريبًا .. في تقديري أن الأمر سيستغرق يومًا أو يومين مما يعطيني بعض الوقت ...

مشيت إلى سيارتي وأدرت محركها عائدًا إلى بيتي في تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي .. ذهبت إلى إدارة المرور حيث ادعيت أنني مهتم بشراء سيارتين تحملان الأرقام كذا وكذا .. وعرفت أنهما مقيدتين باسم شخص يُدعى جون هيركنز .. مالك شركة أتوميك للآثاث ..

وحين سألني الموظف إذا ما كنت أريد عنوان الرجل .. تظاهرت بأنه قد كتب الأرقام خطأ وتعللت بأنني قد قضيت فترة تعليمي في مصر وأنني أكتب الأرقام عادة باللغة العربية .. ولهذا أخطأت في نقلها إلى الإنجليزية .. وسألت عن سيارتين بأرقام أخرى .. وحصلت على عنوان مالكيهما .. اتضح أنهما ليستا سيارات نقل بل سيارات سيدان عادية .. أحسب أن الموظف قد وجد فعلي ذاك غريبًا .. ولكنه لن يبلغ شركة أتوميك للآثاث على أية حال عن أنني قد سألت عن سيارتين مملوكتين لها .. في حال كون ذلك الإجراء متبعًا لديهم .. بما

أن الأرقام الفعلية المطلوب السؤال عنها كانت أرقامًا أخرى .. أو ربما كنت أنا لم أنقل الأرقام بشكل صحيح ..

وخرجت من دائرة المرور ومعي أسئلة عن هذا الجون هيركنز .. خاصة بعدما تأكد لي من مصلحة العقارات أن الفيلا التي يتم صناعة وإخفاء المخدرات داخل آثاث فيها كانت مقيدة باسم جون هيركنز كذلك ..

وفي صباح اليوم التالي وبعدما تبعت فيرارو إلى مقر عمله وتأكدت من وجوده فيه ... توجهت إلى ذلك المنزل البعيد عن العمران الذي كان يقضي إجازاته فيه .. كان يقضي فيه أيام نهاية الأسبوع وأيام الإجازات الرسمية .. وهناك تسلقت المبنى على طريقة رجال الإطفاء .. صعدت إلى السطح عن طريق حبل .. ونزلت من السطح إلى داخل البيت .. مما ساعدني على تجنب تشغيل جهاز الإنذار المتقدم الذي كان موجودًا داخل ذلك البيت .. وفي داخل البيت .. فتحت الكمبيوتر الخاص بفيرارو .. ولم يكن هناك شفرة ولا أرقام سرية مطلوبة للدخول على برنامج الكمبيوتر ..

يبدو أن فيرارو كان مقتنعًا أن أحدًا لا يعرف ذلك البيت .. أو كان مُتكلاً أكثر من اللازم على عمل جهاز الإنذار ..وإلا لوضع كلمة سر على الأقل على الكمبيوتر .. لو كان هناك كلمة سر كنت سأضطر إلى أخذ الهارد ديسك معي إلى بيتي .. وهذا كان سُيشعر فيرارو بالخطر ...

وفي داخل جهاز الكمبيوتر انتظرتني مفاجأة .. تقرير كامل بحساباته في البنوك باسمه الشخصي وأسماء أخرى مستعارة ومنها اسم جون هيركنز .. طبعت نسخة من ذلك التقرير على طابعته .. كان من الواضح أن جون فيرارو ذاك كان شديد

النظام وأنه قد عمد لعمل تقرير عن ممتلكاته وحساباته في البنوك كجزء من عادة الترتيب والنظام التي كان يتبعها في حياته ..

وأغلقت الكمبيوتر وقمت بعملية تفتيش سريعة وحذرة للبيت بحيث لا أترك آثارًا خلفي تدل على دخولي إلى البيت .. وأثمر تفتيشي عن العثور على بطاقات ائتمان باسم جون فيرارو وأسماء مستعارة .. تركتها مكانها ولم أخذ سوى بطاقة الإئتمان التي تحمل اسم جون هيركنز مالك شركة أتوميك للآثات .. والتي كان عليها صورة جون فيرارو .. تركت البيت عن طريق السطح كما دخلت .. بعد أن أزلت كل أثر لي بمنتهى العناية .. وأزلت من الكمبيوتر آخر إدخالات تدل على أن الملفات التي فتحتها قد تم فتحها ..

وفي تلك الليلة ذهبت إلى فيلا النجارين وتجار المخدرات مرة أخرى .. كان العمل يتم على قدم وساق .. وكان من الواضح أن الفيلا تحتوي على بدروم ... اختبأت كالأرنب وسط الشجيرات الكثيفة بجانب نوافذ البدروم وأنا أدعو الله ألا يكون هناك أحد به .. كانت نوافذ البدروم معتمة لا يمكن رؤية ما يوجد خلفها داخل البدروم .. ولكنها كذلك كانت مظلمة .. وتمكنت من فتح إحدى النوافذ بعد مجهود شديد .. عرفت ماذا يوجد بداخل البدروم وبهدوء أغلقت النافذة بوضع تخشينة بين مصراعي النافذة بحيث يمكنني أن أفتحها حين أريد بسرعة وسهولة .. وعدت إلى بيتي في تلك الليلة ..

في صباح اليوم التالي عدت ثانية إلى فيلا تجار المخدرات .. وكان العمل مازال مستمرًا على قدم وساق .. وفي حوالي الثانية عشر ظهرًا ظهر جون فيرارو .. ونزلت أنا إلى داخل البدروم من نافذة البدروم التي كنت قد فتحتها سابقًا ..

كان البدروم يستخدم كمخزن مُكدس به كتل من الأخشاب بالإضافة إلى أكداس من الإفيون النقي الذي يستعمل في صناعة السموم البيضاء ... بالإضافة إلى الأشياء المعتادة عند وجود آثاث .. قش من أجل استعماله في الحشو عند شحن الآثاث .. ونشارة خشب وقطع خشب صغيرة وأوراق صغيرة ملقاة هنا وهناك وأكياس نايلون لزوم التغليف ...

كما كنت قد رتبت أمري جيدًا وأحضرت معي في سيارتي جوالين كبيرين من أوراق الشجر الخضراء .. وسرعان ما حملتهما إلى داخل البدروم ..

وسرعان ما بدأت بإبعاد القش وقطع الخشب الصغيرة ونشارة الخشب والأوراق وجوالي أوراق الشجر الخضراء عن كتل الخشب الكبيرة .. وأخرجت من جيبي قنينة تحتوي على كمية صغيرة جدًا من الكيروسين .. سكبت قطرتين فقط على قطعة كبيرة من الخشب ثم أشعلت النار في قطعة الخشب الكبيرة وأحطتها بقطع خشب كبيرة أخرى ..

وبينما كانت النار تبدأ في الاشتعال بقطع الخشب .. كنت أقوم بتغطية نوافذ البدروم الموجودة في واجهة البيت والجزء الخلفي والجزء الغربي من البيت بقطع النايلون .. كما أنني حرصت على أن تكون النار في وسط الغرفة بعيدة عن الجهات الأربعة ...

أبعدت القش والورق ونشارة الخشب وأوراق الشجر الخضراء إلى الجانب الشرقي من بدروم الفيلا وهناك غطيت النوافذ بالمشمع اللهم إلا من نافذة واحدة في الجانب الشرقي من الفيلا، أو هكذا قدرت، وكومت تحتها كل قطع الخشب الصغيرة ونشارة الخشب والورق والقش ..

الفكرة أن مثل هذا الحريق الذي يمسك بكتل الخشب الكبيرة لا يُصدر إلا الحد الأدنى من الدخان في البداية .. كما أن مثل هذا الحريق يشتعل ببطء مؤديًا إلى درجة حرارة عالية جدًا في النهاية .. وبما أنني أغلقت النوافذ الموجودة في واجهة البيت والمنطقة الخلفية منه بقطع النايلون الكبيرة والمشمع فقد منعت أي اكتشاف مبكر للحريق .. وبالتالي لن تكتشف العصابة الحريق إلا عندما تصبح السيطرة عليه مستحيلة .. ويحتاج الأمر إلى تدخل رجال الإطفاء .. ولكن بمجرد أن تصل النار إلى القش والورق في الجزء الشرقي من البدروم ..وهذه المواد تصدر أكبر كم ممكن من الدخان .. فسوف يصبح الحريق سرًا مُذاعًا بمجرد وصول النار إلى هذه القطع الصغيرة ..

أما بالنسبة لأوراق الشجر الخضراء التي أحضرتها معي خصيصًا للحريق .. فدعني أسألك أولاً: هل تعرف شيئًا عن إشارات الدخان؟ بدأها على ما أظن الصينيون الذين كانوا يرسلون إشارات بالدخان لتنبيه بعضهم البعض إلى أن العدو قد صار قريبًا من مكان ما ..

كذلك جعلت هوليوود من الرسائل التي كان يرسلها الهنود الحمر لبعضهم البعض أحد الإضافات المثيرة للأفلام الأمريكية، حيث أنه بالفعل كان لكل قبيلة من قبائل الهنود الحمر إشاراتها الخاصة التي ترسلها بالدخان .. كان يصدرون دخانًا كثيفًا حيث تكون النار موجودة على أرتفاع كبير .. فوق جبل .. أو تلة عالية مثلاً ويغذون تلك النار بالأعشاب المبللة ويتم تغطية النار وقتها من أعلى النار ببطانية غليظة يزيحونها لإخراج الكمية المطلوبة من الدخان بحيث يصدر الدخان بكميات معينة تصدر .. ثم تتوقف .. ثم تصدر ثانية. هذا الدخان كان يصدر بشكل غزير عندما يتم إستخدام أوراق الشجر الخضراء ..

أحد مفكري الإغريق القدامى ويدعى بوليبوس اخترع نظامًا أبجديًا يتم استخدام هذا الدخان فيه .. ولم أكن أحتاج لكل تلك التقنية المتقدمة .. كنت أحتاج فقط إلى كم معين لا ينقطع من الدخان يخرج ليقول: "هنا يوجد حريق." ..

ولهذا وضعت أوراق الشجر تحت النافذة الصغيرة الوحيدة المفتوحة داخل البدروم في شرق الفيلا .. لكي ترسل إشارات بالدخان ... كذلك بما أنني أغلقت بالمشمع نوافذ البدروم في واجهة الفيلا وفي الجزء الخلفي والغربي من الفيلا .. فسوف يخرج الدخان فقط من النافذة الصغيرة الوحيدة المفتوحة الموجودة في الجزء الشرقي من الفيلا .. في مكان لا يراه من بالفيلا .. وبالتالي سيكون أول من يشعر بالحريق هم الجيران ..

خرجت من النافذة التي تركتها مفتوحة .. وتسللت وسط الأشجار .. ومشيت إلى الشارع وهناك قمت بثقب إطارات كل السيارات التي وجدتها في طريقي بما فيها سيارات العصابة ..وربما كانت بعض السيارات خاصة بالجيران .. بسكين حادٍ أعددته خصيصًا لذلك الغرض .. عمل تقليدي جدًا .. ولكن أحدًا لن يغادر ذلك المكان بسرعة في ذلك اليوم ..

وسرعان ما ركبت سيارتي وأنطلقت إلى أقرب تليفون موجود على الطريق واتصلت بالمطافيء حيث أخبرتهم بأنني قد شاهدت أثناء مروري بالطريق أعمدة من الدخان تخرج من الفيلا .. وأعطيتهم رقم الفيلا وعنوانها ...

فعلت ذلك وأنا أعلم تمامًا بأنه في مثل تلك الحالة فإن الإجراءات المتبعة هي أن يقوم رجال الإطفاء بالإتصال بالفيلا

.. وهناك طبعًا سيواجههم رد فعل إنكاري أو مستهزيء بأنه لا يوجد حريق .. حيث أن العصابة لن تشعر بالحريق في البداية .. كما أنهم سيقاومون مجيء أي شخص إليهم .. سيقوم لهم رجال العصابة وقتها أنهم ولابد قد أخطأوا في العنوان ...

واتجهت بسيارتي بعد ذلك في الاتجاه المعاكس .. إلى أقرب تليفون للفيلا من الناحية الأخرى .. وأوقفت سيارة تقودها سيدة مسنة وأنا أشير بيدي لها إشارات تدل على الاستغاثة ..

توقفت السيدة وهي تستعد للضغط على البنزين في اول لحظة أبدي فيها أي قدر من العدوانية .. وكانت تنظر إليّ بريبة شديد .. ولكني أتقنت دوري .. قلت لها وأنا أتلعثم في الحديث وأضاعف من تأثير لكنتي العربية على حديثي: "معذرة .. ولكن هناك حريقٌ بجانب بيتي .. في البيت رقم كذا شارع كذا .. وأنا غير متعود على الحديث بالتليفون بالانجليزية .. ورجل المطافيء لا يفهم لهجتي .. ذلك البيت مهجور .. وإذا تُرك الحريق فيه سيمتد من ذلك البيت لبيتي .. لا أعرف ماذا أفعل؟ أرجوك ساعديني .. اتصلي بالإطفاء وأعطهم العنوان ..

ويبدو أن المرأة أحست أنني جاد في حديثي .. أشارت إلي أن أكف عن الكلام ونزلت من سيارتها واتصلت بالتليفون برجال الإطفاء .. وأخبرتهم أن هناك حريقًا في شارع كذا .. بيت رقم كذا .. وأنها ترجوهم أن يرسلوا سيارة فورًا .. طبعًا كنت قد كتبت لها العنوان واضحًا للغاية على قطعة ورق ...

كنت أعلم أنه في حالة المكالمة الأولى فإن رجال الشرطة يسألون المكان .. وإذا تلقوا ردًا سلبيًا علقوا الأمر .. وإذا أتت المكالمة الثانية من شخص ثانٍ مختلف عن الشخص الأول

فإنهم يتصلون بالمكان محذرين له .. ويضعون سيارة إطفاء على أهبة الاستعداد .. ووقتها حتى لو اكتشفت العصابة الحريق فإنهم لن يستطيعوا إخماده بأنفسهم كما أنهم سيقاومون مجيء رجال الإطفاء إلى الفيلا حتى لا يرى رجال الإطفاء المخدرات .. أما إذا أتت المكالمة الثالثة من شخص ثالث .. غير الشخصين الأولين .. فإن رجال الشرطة لا يتصلون بالمكان ثانية .. بل يفترضون أن التليفون ربما كان موجودًا في مكان غير المكان المقصود أو أن أصحاب المكان لا يحسون بالحريق .. مما يعرضهم لخطر الموت .. ولهذا فإن رجال الإطفاء وقتها يبادرون بارسال سيارات إطفاء حريق تقوم بإقتحام المكان .. حتى ولو كان هذا الاقتحام رغمًا عن إرادة سكان ذلك المكان .. طبقًا لتقديراتي الشخصية فسرعان ما سيتصل الجيران بالمطافيء ..

أجريت مكالمة أخرى ستعرفون من كان المقصود بها فيما بعد .. وبقيت أنتظر لدقائق .. وسرعان ما رقص قلبي وشنفت أذناي بسماع أصوات سرينة سيارات الإطفاء .. لقد اتصل الجيران ..

تسلقت إحدى الأشجار المجاورة للبيت ومن هناك أخذت أراقب المكان بنظارة معظمة .. كان فيلمًا سينمائيًا حقيقيًا .. تشويق .. وإثارة .. ومتعة ..

وصل رجاء الإطفاء .. وعمود من الدخان يتصاعد من الجزء الشرقي من الفيلا .. وسرعان ما بدأوا بوضع السلالم والصعود إلى الطابق الثاني .. فواجب رجال الإطفاء الأول هو المحافظة على الأرواح البشرية .. وإخراج الناس من المكان المهدد بالحريق .. ولو رغمًا عنهم .. ويبدو أن العصابة قد فوجئت

بالأمر .. وبدأ أفرادها باستخدام الأسلحة النارية لإبعاد رجال الإطفاء .. وسرعان ما غردت سرينة الشرطة .. خير .. كله خير ..

وبدأ رجال الشرطة بمحاصرة الفيلا .. وسرعان ما بدأت عمليات تبادل إطلاق النار .. بينما تسلل بعض رجال الإطفاء إلى البدروم لإطفاء الحريق .. ويبدو أن الدخان الساخن المتصاعد من عملية إطفاء النار قد جعل رجال العصابة يحسون بأنهم محاصرين داخل الفيلا بين النار وبين رجال الشرطة ..وبالتالي أخذوا يحاولون الهرب وتم القبض على من حاولوا الهرب منهم .. وإن بقيت مجموعة .. ومن ضمنهم جون فيرارو متحصنين داخل الفيلا .. وهم يقاومون الشرطة ..

ويبدو أنه بدخول رجال الإطفاء إلى البدروم تم اكتشاف أن الفيلا يتم إدارتها لصناعة وتخزين المخدرات .. ففي خلال ربع ساعة من وصول رجال الإطفاء .. كانت سيارات فرقة مكافحة المخدرات موجودة في المكان .. وسرعان ما نزل من سيارات فرقة مكافحة المخدرات مجموعات من زملاء هال جونسون من بينهم نادين ماجواير وجيريمي تانت وغيرهم .. وعلى الرغم من تفوق تسليح فرق مكافحة المخدرات على الشرطة العادية .. إلا أن رجال العصابة اللذين لم يكونوا يدركون ما يحدث في خارج الفيلا .. استمروا في القتال .. وقد وضعوا قطع كبيرة من الآثاث كدروع حماية على النوافذ وأنطلقوا يطلقون الرصاص وهم مختبئين خلفها .. وزاد إطلاق الرصاص بواسطة العصابة .. عندما أحس أفراد العصابة أن رجال الإطفاء قد أطفئوا الحريق في البدروم .. وبالتالي فإحتمالات هربهم أفضل ..

وخلال الربع ساعة التالية من وصول ضباط مكافحة المخدرات سقط أحد ضباط الشرطة صريعًا بينما تم جرح أخر وتقدمت سيارة إسعاف وقام رجالها ببطولات ليتمكنوا من نقل الشرطي الجريح لإسعافه ..

وتراجع رجال الشرطة واستخدموا سياراتهم كمتاريس يحتمون بها من سيل الرصاص المنهمر عليهم من داخل الفيلا بينما استمروا في محاصرتهم للمكان .. وبدأت نادين ماجواير تعرف العصابة بنفسها وتنادي على أفراد العصابة وتطالبهم بالخروج وتسليم أنفسهم لفرقة مكافحة المخدرات .. وطبعًا كانت العصابة ستخرج عندما أعلنت نادين ماجواير عن هويتها .. فرجال الشرطة الذين يحاصرون المكان أحباب وليسوا أعداء ..

كانت الأمور تسير بالتأكيد بصورة أفضل مما خططت لها .. ومن بعيد ظهرت الهليكوبتر التي تقل طاقم إحدى الوكالات الإخبارية .. ومعها ظهرت صديقتي المذيعة ساندرا آدامز ومعاونيها .. ومعهم المصورون بعدساتهم الجميلة وميكروفوناتهم الأكثر جمالاً .. ومن بعيد ظهرت المزيد من طائرات الهليكوبتر لوكالات الأنباء تحوم حول المكان .. بينما تراكمت من بعيد سيارات وكالات الأنباء الصغيرة ..

وبدأ رجال الشرطة يخصصون أشخاصًا للتحدث إلى الصحافة وإقناع الصحفيين بالإبتعاد عن المشهد حتى يتم القبض على العصابة .. وعادة ما يكون إقناع الصحفيين مقترنًا بوعود من الشرطة لهم بأن تخبرهم بكل شيء فيما بعد .. وإلا فمن الصعب تحريكهم من موقع إطلاق النار .. فالصحفيون قتلى أي خبطة صحفية ..

وسرعان ما قام أفراد شرطة مكافحة المخدرات بإقتحام المكان والقبض على كل من فيه .. ومن الطبيعي أن يتم كذلك تحريز المخدرات والأسلحة التي كانت في أيدي العصابة داخل الفيلا .. وبدأ رجال العصابة في الخروج مصحوبين برجال الشرطة .. طبعًا كان الطرف الذي سيتسلم أفراد تلك العصابة في النهاية هي فرقة مكافحة المخدرات .. فهي الفرقة المسئولة عن الجريمة الأساسية التي كانت تحدث في تلك الفيلا .. أي أنه حتى لو كان رجال الشرطة العادية هم من قبضوا على أفراد العصابة فإن أعضاء عصابة المخدرات كانوا يتوقعون أن يتم تسليمهم لزملاءهم من تجار المخدرات العاملين في صفوف الشرطة .. أي أنهم كلهم أحباب .. ومفيش حد غريب ..

وشاهدت من أعلى الشجرة جون فيرارو وهو يخرج برفقة نادين ماجواير .. كان فيرارو يمشي في المقدمة مشية الهوينا ... مشية غير المتعجل .. ومن خلفه كانت تمشي نادين ماجواير بقامتها شديدة الضخامة وهما يتحدثان في تأن .. وفجأة لمعت في وجهها وهي خارجة من دائرة السيارات حول الفيلا فلاشات كاميرات الصحفيين اللذين كانوا يملأون المكان .. وسألتها ساندرا آدامز بصوت عالٍ عما إذا ما كان ذلك الشخص الذي يمشي أمامها هو جون فيرارو .. أو جون هيركنز مالك الفيلا ومالك شركة أتوميك لنقل الآثاث .. أو بعبارة أخرى .. هل هو جيم الكبير رئيس العصابة ...

يبدو أن نادين كانت ستطلق سراحه أو ستتظاهر أنه قد أتى للمساعدة في عملية القبض على المجرمين .. ولكن الصحفيين فاجأوها .. وأحست نادين بأنهم قد صوروها بالفعل مع فيرارو وأن لدى الصحفيين بالفعل معلومات مسبقة عن الحادث .. ربما كانت أكثر من معلوماتها هي شخصيًا عن الأمر .. وفي ثوان تغيرت طريقة مشيتها ووقفتها .. فقد وسعت بين كتفيها ونفخت

صدرها بينما امتدت يدها بحركة غريزية ليلتف كفها الغليظ السميك حول ذراع فيرارو بقوة .. وتمسك به مسكة المقبوض عليه ..

واندفعت عشرات من الميكروفونات من صحفيين لا يعرفون خلفية القصة إلى فمها تسألها عن المجرم الذي تمسك به وعن العصابة، وهل صحيح أنها عصابة من المتاجرين بالمخدرات، وعن تفاصيل عملية الضبط على المجرمين .. وردت نادين ماجواير على الصحفيين قائلة أنها ستكشف كل شيء في وقت لاحق .. أما في هذه اللحظة .. فليتركوها تؤدي عملها ويعفونها من ذكر التفاصيل .. فالعملية لم تنته بعد ..

لقد سقط فيرارو وصوروها معه .. وكانت تمسك به بطريقة لا يمكن أن يمسك بها شرطي بشرطي أخر .. وهذا معناه أنه سبق السيف العزل .. لم يعد بإمكانها أن تتظاهر أن فيرارو هو شرطي زميل .. ولهذا مضت في الشوط بكامله .. فهي لم تشترك في أي أعمال تهريب لصالح العصابة بعد .. أو هذا ما أظنه أنا .. وبالتالي فيمكنها أن تجد مخرجًا من تهمة مساعدة مجرمين أو الاشتراك في عصابة مخدرات .. ولعل الصحفيين لا يعرفون الكثير عن دورها في الأمر .. هم فقط يعرفون ما يخص فيرارو .. حسبت نادين ماجوير الحسبة في ثوان قليلة وقررت أن تضحي بجون فيراور وتتبرأ منه .. حيث أنها قدرت أنه لا توجد لدى العصابة دليل ملموس على أنها تعمل معهم .. وارتج صدري من الضحك ..

وبحركة عفوية مد جيريمي تانت يده يخلص الرئيسة من عبء مصاحبة المتهم المُلقى القبض عليه حتى تتفرغ للحديث إلى الصحفيين .. وتركت نادين ماجواير جون فيرارو ببساطة للشرطي الأسود كما لو كان الأمر مجرد موضوع روتيني ..

حاول فيرارو أن يحدث الصحفيين لينفي أنه مقبوض عليه .. أو ليقول أنه يعمل في مكتب المباحث الفيدرالية .. أو ربما ليقول شيئًا أخر .. ولكن جيريمي تانت جذبه بعنف بينما دفعته نادين ماجواير ناحية جيريمي دفعة قوية حتى كاد ينكفيء على وجهه .. مانعة بذلك أي فرصة يمكنه خلالها أن يقول أي شيء للصحفيين المتجمعين حولهم .. كان فيرارو ينظر إليها باندهاش شديد .. نعم يا عزيزي فيرارو .. لا تندهش .. لقد باعت لك هال جونسون من قبل .. وهي تبيعك في هذه اللحظة .. ويالها من فتاة مبيعات .. وعلى العموم إذا جاءك الطوفان .. المثل معروف ...

وطبعًا لو نظرت للأمر من منظور جون فيرارو لوجدت أنها مأساة .. رجل بهذه القوة وهذا النفوذ وهذا الثراء .. كم باع وكم اشترى وكم قتل .. ثم يسقط هكذا عندما باعته نادين ماجواير وأسلمته في لحظة .. أصبح المسكين جون فيرارو .. يُمهل ولا يهمل ..

ويبدو أن فيرارو قد فهم في تلك اللحظة حرج موقفه، ولجأ إلى حماقات اللحظة الأخيرة .. إلى الفرار .. فعند باب سيارة الشرطة حاول فيرارو أن يضرب جيريمي تانت في ركبته ضربة جانبية بساقه كما يفعل لاعبوا الرياضات القتالية .. كي يحاول الهرب .. ولكن الجبل الأسود لم يتأثر بالضربة مطلقًا بل نظر إلى فيرارو من أعلى وكأنه يتساءل "أي غبي هذا؟" ثم حرك فيرارو إلى الخلف خطوتين كما تحرك الطفلة دمية تلعب بها .. ثم دفع به إلى الأمام لتصطدم رأسه بجسم السيارة ويرتج توازنه .. قبل أن يضع جيريمي القيود في يديه .. سلمت يمينك يا جيري .. لقد شفيت غليلي من ذلك الوغد .. فليشرب كأس الفشل والهزيمة مرة في حياته .. فقد أفلت بفعاله الشنعاء كثيرًا وحان الوقت كي يدفع ثمن أخطاءه.

تسألونني ما هو الضمان الذي ضمنت به أن نادين ماجواير لن تسمح لفيرارو بالهرب .. وأن ماجواير نفسها سوف تُعاقب .. أنا لم أمض الليلة السابقة في بيتي .. بل أمضيتها أنتظر حتى تخرج تلك المذيعة اللامعة ساندرا آدامز من مبنى إذاعة الوكالة الإخبارية التي تعمل بها .. وتبعتها بسيارتي إلى بيتها حيث كشفت لها أنني هال جونسون .. وأخبرتها بالقصة كاملة ..

ولهذا لم أنم تلك الليلة .. بل قضيتها مع المذيعة ساندرا آدامز حتى الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم .. في استديو الأخبار حيث واجه من يُفترض أنه هال جونسون الكاميرا .. وقد صبغ شعره وقصه بطريقة بدائية غبية .. وراح يحكي بالتفاصيل المملة جدًا .. كيف فقد الذاكرة بعد حادث الاعتداء عليه . وكيف اكتشف بعدها أنه تاجر مخدرات .. وكيف استنجد برئيسته في العمل نادين ماجواير التي باعته للعصابة .. وكيف لجأ إلى جون فيرارو ضابط المباحث الفيدرالية .. الذي ظهر له فيما بعد ذلك أنه جيم الكبير رئيس عصابة المخدرات التي كان هو هال جونسون عضوًا فيها ولكنه لم يعرف ذلك لأنه كان قد فقد الذاكرة ...

أما الأدلة على صدق أقوال هال جونسون .. فكانت أمواله الكثيرة التي قمت برصها ككومة كبيرة أمام عدسات كاميرات التصوير في الاستديو .. وكذلك بطاقات الإئتمان العديدة باسم هال جونسون وأسماء أخرى مزيفة .. والتي تم استعراضها أمام عدسات الكاميرات .. والتي تدل على أن هال جونسون يمتلك الملايين في البنوك .. وكذلك صورة من تقرير الكمبيوتر الذي حصلت عليه من البيت البعيد عن العمران الذي كان يملكه جون فيرارو ويقضي به إجازاته .. وكان ذلك التقرير كما أسلفنا يدل على ممتلكات جون فيرارو التي سجلها باسم جون هيركنز مالك شركة أتوميك للآثاث .. والذي كان كذلك يمتلك

الفيلا التي تستعمل في صناعة المخدرات ونقلها وتخزينها .. وأخيرًا بطاقة الهوية التي كانت تحمل اسم جون هيركنز وعليها صورة جون فيرارو واضحة وضوح الشمس ..

كان ذلك التسجيل الذي تم معي في استديو الوكالة الإخبارية التي تعمل بها ساندرا آدامز هو أحد أقوى خبطات السبق الصحفي التي حققتها تلك الوكالة الإخبارية على الإطلاق .. وقد طلبت من ساندرا ألا تعرض التسجيل على العامة إلا عندما يتم القبض على العصابة .. وبعدما اتصلت تلك المرأة المسنة التي أوقفت أنا سيارتها في منتصف الشارع .. وطلبت منها الاتصال برجال الإطفاء .. أقول بعدما اتصلت تلك المرأة المسنة برجال الإطفاء، قمت أنا بالاتصال بساندرا لتستعد وفريقها للحضور لتصوير حفل القبض على رجال عصابة المخدرات على الهواء مباشرة ..

وبمجرد أن تم تصوير عملية القبض على العصابة . وتصوير المواد المخدرة المحرزة كمضبوطات .. بدأت قناة التليفزيون التي تظهر عليها ساندرا آدامز في إذاعة الشريط المسجل معي والذي أدهش كل من رآه .. تسألونني كيف كان لي أن أضمن أن ساندرا آدامز ستحترم تعهداتها التي أعطتها لي وأنها لن تعرض الشريط بشكل مسبق ولن تش بي للعصابة .. لقد كان علي أن أثق بشخص ما .. وقررت أن أثق بها .. وصدق حدسي هذه المرة ..

الخاتمة

وبدأت التحقيقات .. قامت الشرطة بالقبض على جميع أفراد العصابة .. كانت نادين ماجواير بعد القبض عليها متلهفة للإنضمام للشهود والإدلاء بجميع المعلومات التي تعرفها عن

أفراد العصابة وأبدت استعدادها الكامل للشهادة ضدهم، ولكنها لم تدل بالكثير من المعلومات التي يمكن أن تفيد المحققين، فقد انضمت للعصابة حديثًا، وهي لا تعرف الكثير عن نشاطاتها، ولزم جون فيرارو الصمت انتظارًا للفرج .. وأكد محاموه أن فيراور لن يتحدث إلا عندما تُظهر النيابة جميع الأدلة التي تخفيها في القضية ..

أما مايلز فكان البلبل الصداح .. فغنى وأطرب .. بمجرد القبض عليه، أدرك مايلز أنه سمكة صغيرة جدًا في بحيرة كبيرة تمتليء بالأسماك الكبيرة المفترسة التي سوف تنالها جميعًا شبكة الصياد .. وأن المحققين يهمهم بالدرجة الأولى الإيقاع بالأسماك الكبيرة .. وأن أحدًا لن يفلت .. ولهذا عقد مايلز اتفاقية مع النيابة بأن ينضم إلى برنامج حماية الشهود .. أي أن يكشف كل المعلومات التي يعرفها عن العصابة .. مقابل حمايته بأن يتم منحه اسم جديد وتقوم الشرطة بأخذه إلى ولاية أخرى لا يعرفه فيها أحد .. ويعيش بقية حياته بهوية جديدة وتحت اسم جديد غير اسم مايلز حتى لا تجده العصابة بسهولة لتنتقم منه .. وكان اتفاق مايلز مع النيابة العامة في تلك القضية يشمل أن يحتفظ مايلز بكل أرباحه من تلك التجارة المحرمة .. مقابل تقديم أدلة ثبوتية على شركاءه.

كان مايلز مستعدًا ليوم تتغير فيه الأمور وتعكس فيه الرياح اتجاهها .. فما إن وصلت ورقة إلى يده وبقيت في يده لفترة كافية حتى صنع لها صورة ضوئية جميلة (فوتوكوبي)، وكان يقوم كذلك بالتصوير في الحفلات التي كان تقيمها العصابة .. وبهذا ظهر جميع أفراد العصابة كلهم في الصور التي قدمها للنيابة ..

كذلك كان مايلز يفعل شيئًا لم أظن أنا قط أنه يمكن أن يفعله ولا أظن أن هناك شخصًا كان يعرف مايلز ويتوقع منه أن يفعل ذلك الشيء: لقد كان مايلز يكتب مذكراته. آلاف من التفصيلات المذهلة والدقيقة إلى درجة إثارة الملل لكل صفقة قامت بها العصابة منذ إنضمامه إليها .. ولو منذ عشر سنوات .. تواريخها وأماكنها والمشتركين فيها والتعقيدات التي قابلت العصابة أثناء عملها والرشاوي التي قد تكون قد دفعت لتسهيل عملهم .. كل شيء وأي شيء ... حتى ولو لم تكن له صلة بالموضوع وحدث عرضًا أثناء القيام بالعملية ..

كان مايلز هو مبعوث العصابة المؤتمن .. كان الحمام الزاجل بين زعماءها والمختار ليكون الوسيط في عمليات الرشوة والسمسرة .. ولكنه مع ذلك كان بلا كرامة بينهم وكانوا يعاملونه دومًا كخادم أو كشخص ذي دور ثانوي . وقد انتقم منهم مايلز أشد انتقام ..

فضل مايلز الخروج من جلده إلى شخصية أخرى واسم أخر واحتمال أن تقوم العصابة بمطاردته وربما قتله في النهاية .. على قضاء ما لا يقل عن عشر سنوات كاملة خلف القضبان .. وبهذا فضل أن يُعرِّض نفسه لما قد يكون بدلاً من أن يواجه ما هو لابد كائن إذا تعاملت معه النيابة كمجرم، وبما أنه قد قبل أن يعرض نفسه للخطر بالشهادة ضد العصابة، فقد قرر مايلز أنه قد خاطر وانتهى الأمر، وأنه من مصلحته أن يتم وضع أكبر عدد من رجال العصابة خلف القضبان لأطول فترة ممكنة حتى لا يخرجون ويطاردونه للانتقام منه .. ولهذا مضى إلى آخر الشوط .. وقال كل شيء .. حتى جرائم القتل والتي كانت قد قيدت كحوادث عشوائية .. أو كحوادث غير مقصودة .. فضحها مايلز ودل على مرتكبيها .. وخاصة لو كانوا قتلة مأجورين استخدمتهم العصابة ..

وبمجرد أن بدأ مايلز يحكي ويقدم أدلته .. أعلن مكتب المدعي العام أن مايلز سيكون الشاهد الرئيسي في القضية .. وتلته نادين ماجواير .. وحللت أنا تاليًا بعدهما كشاهد ..

أصدر القاضي مذكرة استدعاء قام فيها بمصادرة دفتر مذكرات مايلز والصور التي قدمها للنيابة كي يجعل دفتر المذكرات والصور دليلاً رسميًا في القضية .. كانت القضية الخاصة بالشركاء الداخليين في الولايات المتحدة تكاد تكون كاملة .. صور ومستندات وتفاصيل وشاهد لم يدع شيئًا إلا وكتبه بخط يده .. أما القضية على الصعيد العالمي .. مصادر المخدرات والممولين والمستفيدين الرئيسيين، خاصة وأن فيرارو نفسه لا يمكن أن يكون أكثر من أداة .. فقد كان لابد لحسمها من أن يتحدث فيرارو، ولكن الرجل كان خائفًا على ما يبدو .. ولهذا كانت النيابة تجمع الأدلة التي تشير إلى تورطه في القضية .. كوسيلة للضغط عليه ليتكلم من أجل تخفيف العقوبة أوحتى لعقد صفقة معه .. مثلما حدث مع مايلز .. ولكن يبدو أن فيرارو كان يعرف مالا يعرفه غيره .. فقد سكت الرجل مفضلاً الصمت التام .. على الرغم من مناشدة محامييه له بأن ذلك ليس في مصلحته وأن الحكم الذي سيصدر عليه قد يصل إلى السجن مدى الحياة .. كعقاب على جرائم القتل والتهريب واستغلال النفوذ وخيانة الإمانة .. وغيرها من التهم.

أما أنا فلم أكن أريده أن يتكلم مقابل العفو عنه !! .. كنت أتمنى أن يظل على صمته .. فلابد من أن ينال عقابه الرادع عن الجرائم التي ارتكبها في حق الإنسانية .. لقد قتل وزور وهرب المخدرات .. واستغل نفوذه في حماية المنحرفين .. ولابد من أن ينال عقابه ..

لا أعرف إذا كان ما حدث هو العقاب المُستحق للجرائم التي أرتُكبت .. فبينما كنت في مقعد الشهود وكان وكيل النيابة يسألني .. أطلت الجريمة برأسها .. كنت أحكي قصتي لوكيل النيابة وأنا أنظر إليه من فوق منصة الشهود .. حين لمحت بطرف عينيّ شيئين يتحركان بسرعة عن يميني .. نظرت فإذا بمايلز ونادين ماجواير يقفزان فجأة من فوق مقاعدهما في المقاعد الأولى في المحكمة قبل مقاعد الجمهور .. وألقيا بنفسيهما خلف القائم الخشبي السميك الذي كان يفصل بين مقاعد الجمهور الحاضر للجلسة والمسافة التي يتحرك فيها وكيل النيابة ..

ونظرت إلى ما جعلهما يفران فإذا مسلح يحمل مدفعًا رشاشًا .. ولم أمض في ملاحظاتي لأكثر من ذلك .. لقد ضغط المسلح على الزناد وانطلقت الرصاصات تحصد الناس حصدًا .. أطاح الرجل بكل من كانوا في المقاعد الأمامية .. مقاعد الشهود والمتهمين ومحامييهم وبالحارسين المسلحين اللذين كانا يقفان قرب المنصة .. قبل أن يتحرك أحد .. ثم بعث بدفعة من الرصاص نحو المنصة حيث كنت أنا جالسًا في مقعد الشهود .. استقر عددٌ من الرصاصات التي أطلقها في صدري .. سقط جسمي على الأرض وقد أصبحت لا سيطرة لي عليه .. ورأيت جون فيرارو إلى جواري جثة هامدة .. ثم ساد الظلام .. الظلام التام ..

فتحت عينيّ لأجد نفسي جالسًا أمام الكمبيوتر في بيتي في القاهرة .. ومددت يدي أتحسس بها صدري .. لا شيء .. لا ألم .. لا دماء .. أنا لم أعد في قاعة المحكمة .. بل انتقلت في غمضة عين إلى بيتي .. ومددت يدي بسرعة أغلق الكمبيوتر قبل أن يورطني في مشكلة أخرى .. وإن كانت شاشته بالفعل قد أصبحت سوداء .. وعادت وساوسي .. هل كنت أحلم؟ .. لا

يمكن .. مازالت أصوات الطلقات والصرخات الملتاعة تطن في أذني .. بل وأكاد أحس بالدماء الساخنة تغطي وجهي وصدغي وصدري ..

إذا فقد كان عقلي حاضرًا لتلك الواقعة .. ترى ما الذي حدث لي؟ .. قال أينشتاين أن باستطاعة الإنسان أن يسافر في الزمان كما يسافر في المكان .. ولكني في حالتي هذه قد سافرت في الزمان والمكان ولم أكن أنا أنا؟ بل كنت أنا ولكن الناس كانوا يروننني شخصًا أخر.

لقد فكر بعض العلماء بأن أفكار الإنسان عبارة عن موجات كهرومغناطيسية ودللوا على ذلك بظاهرة التلیباثي Telepathy والتخاطر بالموجات الكهربائية للدماغ بين أشخاص لديهم تلك القدرة وبدون الحاجة لأجهزة أو وسائط وقد حكى بالفعل بعد الناس على قيامهم بالتخاطر ونقل أفكارهم عقليًا بدون كلام – وكذلك ظاهرة التحريك عن بعد مثل الأشخاص الذين تشاهدهم على شاشة التليفزيون يفعلون أفعالاً غريبة كالطفل الذي يستطيع أن يثني شوكة حديدية دون أن يمسها بمجرد التركيز العقلي عليها ..

وقال العلماء أنه لو كانت أفكار الإنسان عبارة عن موجات كهرومغناطيسية فيمكن حل تلك الموجات وتقسيمها إلى عناصر أبسط وأنه لو أمكن صنع آلة تستطيع تجميع تلك الموجات ثانية فيمكن نقل عقل الإنسان وربما الإنسان نفسه من مكان إلى أخر بنفسه شكله وصورته .. ولكن كيف يمكن أن يعبر الإنسان بعقله فقط الزمان والمكان .. ويسيطر على جسم شخص أخر .. أغلب ظني أنه قد مات قبل بدء سيطرة دماغ الشخص الأخر على بدنه ...

وأنتهى تفكيري إلى أن هذا البرنامج لا شأن له ببرامج الكمبيوتر المتعارف عليها والتي هي مجموعة من الأوامر يتم اصدارها بلغة آلة ما .. ولكن إذا كان مجرد تشغيل البرنامج يضع الإنسان في هذه المشكلات المعقدة التي كان يجب علي أن أواجهها .. فما الذي يمكن أن يسببه لي محاولة تغيير برمجة ذلك البرنامج أو حتى حل شفرة البرنامج ... قررت أن أتريث وأنتظر .. وعاهدت نفسي ألا أفتح البرنامج ثانية .. وإن كنت أكاد أموت فضولاً لمعرفة مصير نادين ماجواير ومايلز .. ربما فتحت الكمبيوتر فقط لمعرفة مصيرهما .. ولكن هذه حكاية أخرى ..

والسلام ختام

محمود ثابت

سلسلة المغامرات المثيرة المغامرة الثانية

رواية/ الشرطي الكبير يقع في الفخ

جميع الحقوق محفوظة عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة للكاتبة:

غلاف رواية الشرطي الكبير يقع في الفخ: صممه الأستاذ/ عادل هاشم سامي

رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٦/٥٨٦٩

رقم الترقيم الدولي: 977-5763-00-2
ISBN

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

سلسلة المغامرات المثيرة

المغامرة الثانية

الشرطى الكبير يقع فى الفخ

ستظهر على شاشات الكمبيوتر مواصفات الجريح .. شاب طويل القامة يبلغ طوله حوالي المترين أشقر الشعر ومُصاب بطلق ناري ..ووقتها لن يحتاجوا إلى أن يعرفوا اسمي .. وحتى إذا ما تماسكت حتى أمُلي رجال الشرطة اسمًا أخر .. فسيعرفون أنه أنا وسينتظرونني في المستشفى حين أكون عاجزًا عن حماية نفسي .. حقنة هواء في الوريد وينتهي كل شيء .. هذا إذا لم يجدوني وقد برز خنجرٌ من صدري أو تدلى حبلٌ من رقبتي ..

تأليف: عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

الشركة العربية للترجمة والنشر وطبع الرسائل العلمية

شعار (أكتب) شعار الشركة العربية للترجمة والنشر وطبع الرسائل العلمية

٢

المغامرة الثانية

الشرطي الكبير يقع في الفخ

ستظهر على شاشات الكمبيوتر مواصفات الجريم ... شاب طويل القامة يبلغ طوله حوالي المترين أشقر الشعر ومصاب بطلق ناري .. ووقتها لن يحتاجوا إلى أن يعرفوا اسمي .. وحتى إذا ما تماسكت حتى أملي رجال الشرطة اسما آخر فسيعرفون أنه أنا وسينتظرونني في المستشفى .. حين أكون عاجزًا عن حماية نفسي .. حقنه هواء في الوريد .. وينتهي كل شيء ... هذا إذا لم يجدوني وقد برز خنجر من صدري أو تدلى حبل من رقبتي .....

بقلم:

عبير عبد الرزاق إبراهيم

الشركة العربية للترجمة والنشر وطبع الرسائل العلمية

أكتب

الثمن: ١٥٠ قرشًا